شماره ۲۱۳

۳۴

انوار التوحید فی التوحید

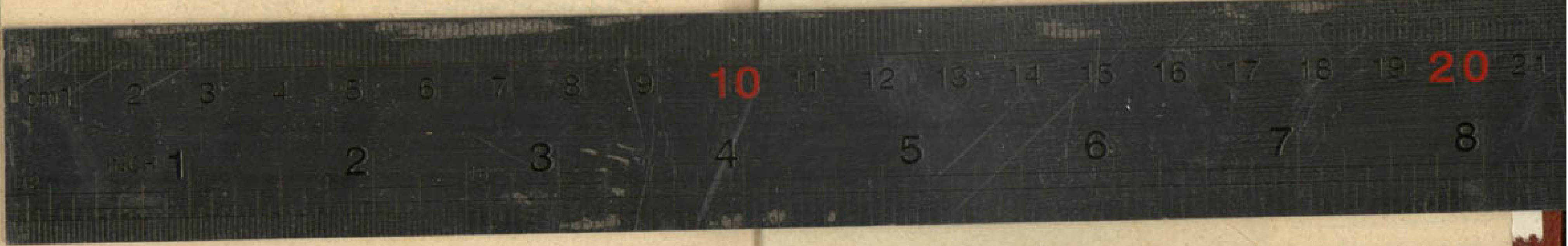
للملا محمد النراقی

بازرسی شد

بازدید شد
۱۳۸۴

کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب انوار التوحید
مؤلف
موضوع
شمارهٔ دفتر ۲۸۰۹۶

خطی « فهرست شده »
۱۰۳۴۴


cm 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21
INCH 1 2 3 4 5 6 7 8

هو المستعان

کتابخانه مجلس شورای ملی

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

نحمده حمداً يوافي رضاه • ويكافئ العظيم من برّه وعطاه • ونشهد ان لا اله
الا الله • توحيداً ينزّهه عن جميع ما سواه • اذ لا يحصي عليه ما اجراه •
ولا يحصر ما احصاه • احتجب بنوره في الافق الطامح • والعز الشامخ
فما اقربه وادناه • وما ابعده واخفاه • سبحانك لا نحصي ثناءً عليك
انت كما اثنيت على نفسك فوق ما نقول ونرضاه • دلّ على ذاته بكلمته
فانتهت اليها معرفتنا اياه • وقامت بها صفته حيث وصفناه • ففتح
بها اوّل من دعاه • واجابه ولبّاه • فعدّله وسوّاه • وادناه وقرّبه
فاختاره لنفسه واصطفاه • وجعله بابه الاعظم ومظهر اسمه و
مبداه • واخذ ميثاقه بما عداه • وختم به حجته على خلقه الى يوم
يلقاه • محمد وآله المهتدين بهداه • الذين عرفوا الله على اشرف ما
يحتمله الامكان واجلاه • واتمّه واعلاه • وبعد فيقول الملتجي الى
باب ربه الباقي عبد الصاحب محمد بن احمد بن محمد مهدي النراقي اغاثه
الله يوم التلاقي ان هذه لباب علم التوحيد الذي هو اصل اصول
الدين واس اساس الشرع المبين حققتها ببراهين عقلية حقيقة

بالتصديق واتقنتها بشواهد نقلية هي عليها تنبيهات بالتحقيق ولا اقلّد
فيها فنّاً دون فن ولا استغني من الحق بظن ولا اكن ممن نصب اماماً
فاتخذ الهه هواه واوّل كلام الله وحججه الى ما يراه ويهواه ولا انا
امّرة في المتكلفين ولا امّعة في المتعسفين ولا كاشباه المتصوفين
او كاشياع المتفلسفين ولكن على امتثال ما امرني ربي وطاعة
ما ارشدني ولاة امري اتبع ما دلّني عليه قواطع البرهان وسواطع
البيان من اشارات القرآن وتلويحات امناء الرحمن واساطين
الايمان واتبع احسن القول حيثما اصبت لا ابالي من قال كما قال الملك
المتعال فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فان
اصبت فمن الله ولكل نفس طالبة قسط من نور الله ولكل قلب منكم
حظ من سر الله فله علي منة وان اخطأت فمن نفسي وكلٌّ يعمل على شاكلته
فابرأ منها الى الله وفقنا وعصمنا الله واخواننا من الركون الى تفاريع
الآراء والاغترار بمخترعات الاهواء ووقانا من غشاوة الاغراض
والانحراف عن المحجة البيضاء واياكم اخواني هداكم الله طريق الرشاد
ان تكونوا في دينكم مفرطين او مفرّطين فلا تبادروا بانكار اسرار
فكنتم اعداء الحكمة وبغضة العرفان واليقين وصرتم من زمرة قوم
انا وجدنا آباءنا ولا تغتروا بتمويهات الالفاظ المصطلحة للمجادلين

ومبتدعات الفلاسفة والمتكلمين وتسويلات اصحاب الحرفة واذواق
المتصوفين فتكونوا من الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه فان
كلها سبل الضلالة فلا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يا اخي دع
عنك زلات الخاطئين وهاجر بنفسك عن دار الحيرين الى مدينة علم
المؤمنين وأت البيوت من ابوابها واطلب الحقايق من اسبابها وصدق
قول امامك امير المؤمنين ع ذهب من ذهب الى غيرنا الى عيون كدرة يفرغ بعضها
في بعض وذهب من ذهب الينا الى عيون صافية تجري بامر الله لا نفاد
لها لا بل اكلها دائم تؤتي اكلها كل حين باذن ربها واستشعروا الانصاف
واجتنبوا في امر الدين عن التعصب والاعتساف باذهان نقية وقلوب
صافية واسماع واعية فخير القلوب اصفاها وخير الاسماع اصغاها و
اوعاها قال الله تعالى لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
فاقول متذكرا لذلك متبعا لخطاب الله مستدلا لكل مطلوب ببرهان
عقلي حقيق بالقبول وطريق سمعي من الكتاب والسنة واحاديث آل الرسول
وما لا سبيل للعقل الى الاستدلال عليه كاثبات الواجب وتوحيده استشهد
فيه بعد اقامة البرهان الذي هو دليل الحكمة باشارات نقلية وتنبيهات
ماثورة يشهد بها الطباع السليمة والاذواق المستقيمة من باب دليل الموعظة
الحسنة ورتبته على مقدمة في بيان بعض ما يتعلق بالوجود والمهية

وحصر ابواب

وحصر ابواب **الباب الاول** في اثبات وجوده وجل ثناؤه **الباب**
الثاني في اثبات توحيده الالوهي بمعنى ان لا شريك له في الوجوب والغنى
عما سواه **الثالث** في اثبات توحيده الذاتي بمعنى ان لا تكثر في ذاته وبيان
ما يترتب عليه من سلوب الصفات وتنزيهه عما لا يليق به **الرابع** في
اثبات توحيده الصفاتي بمعنى ان صفاته ذاتية كمالية وهي باجمعها حقيقة
واحدة هي عين الذات وبيان ما يتعلق بذلك **الخامس** في اثبات توحيده
الافعالي وبيان خلاصة القول في افعال العبد وسميته هذا بانوار
التوحيد وافوض امري الى الله انه حميد مجيد وافتتح الكلام بذكر
فاتحة هي ان التوحيد واثاره هو المقصد الاقصى والغاية القصوى
من خلق الانسان بل جميع الاكوان كما قال الله تعالى الله الذي خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما ومنه تسمية النبي ص فيما روي عنه ص
سورة التوحيد بسورة الاساس بما عليه من اساس الدين بل اساس الوجود
كله لكونها بيانا للتوحيد ذاتا ووجوبا وفعلا الذي خلاصته ان لا اصل
ولا مؤثر في الوجود الا الله حيث اشار عز اسمه بلفظ هو الى تثبيت الثابت
وغيبته عن الابصار والحواس كما فيما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام
مضافا الى الاشارة بكونه ضميرا الى معروفيته بالاثار وعن تجريده عن الحدود

اسم كتاب

والأوصاف بكونه هوية محضة لا يشاركها كيفية وحد وجهة وبقوله الله
الدال على الصفات والأسماء إلى كونه مستجمعاً للصفات الكمالية المتوقفة
عليها الآثار والأفعال وبفعله بلا غرض هو الدال على الهوية الأحدية
إلى عينية الصفات للذات وبقوله تعالى أحد إلى عدم اشتمال وحدته و
بساطته بالكثرات الصفاتية الدالة عليها لفظ الله وبقوله تعالى الله الصمد
إلى أنه باعتبار الأسماء والصفات هو السيد المطلق المصمود إليه الذي
يقصد إليه في جميع الحوائج ويفتقر إليه كل شيء فهو مؤثر في الوجود لا
سواه كما قال تعالى والله الغني وأنتم الفقراء وبقوله تعالى لم يلد
الدال على أنه لم يخرج منه شيء ولا ينشعب منه البدوات كالخطرة والوهم
والحزن والخوف والعزم والإرادة والهمة والتفكر والتروي ونحوها
لأن مصدريتها للأفعال المختلفة لإنجاح حوائج الطالبين لا تنبعث
عن جهات متكثرة وحيثيات متعددة في الذات على قياس الصفات على خلاف
المخلوقين فإن أفعالهم المختلفة تنشأ عن إرادات متكثرة وخواطر متعددة
متولدة عن أنفسهم وبقوله تعالى لم يولد إلى أنه تعالى شأنه في كل ذلك من
الذات والأفعال متأصل بنفسه لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما يخرج
الأشياء الكثيفة من عناصرها كالدابة من الدابة والنبات من الأرض
والثمار من الأشجار ولا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر

من العين والسمع من الأذن والتمييز من القلب والإرادة من النفس وبقوله تعالى
ولم يكن له كفواً أحد إلى أنه لا يشبهه ولا يماثله أحد في الوحدة الخالصة
والتأصل في الحقيقة واستقلال التأثير فكل ما هو في الوجود هو وبه ومنه وإليه
هذا ولنرجع إلى ما كنا فيه وهو أن المقصد من خلق الإنسان معرفة الله و
توحيده وجميع الأنبياء والأوصياء بعثوا لإظهاره ودعوة الخلق إليه كما
نطق به الحديث القدسي المشهور كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق لأن أعرف
وذلك لأن الحكيم لا يفعل العبث أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم
إلينا لا ترجعون فخلقه لا يصح لمصلحة تعود إلى نفس المخلوق لغناه تعالى و
ليستمتع من لذات هذا العالم الكدر المظلم الخسيس والمنافع الدنيوية
الدنية التي لا يجهد في تحصيلها ذو عقل سديد وهمة نفس لأنها مع
قصورها وانقضائها في نفسها العمر الصالح لكونه غاية لإيجاد هذا
الخلق العجيب بما فيه من دقائق الحكم التي تتحير فيها العقول والصنع البديع
الذي هو أنموذج العالم الكبير مشوبة بأنواع الآلام والأسقام الجسمانية
والروحانية والكدورات الظلمانية التي لا تنفك عنها في العادة كما هو
مشاهد بالعيان ومع ذلك فإنه قريب الزوال فليس هي إلا من جنس
اللذات الأخروية والابتهاجات العقلانية والحيوة الأبدية وللآخرة
أكبر درجات وأكبر تفضيلاً وهي لا تحصل إلا بالانقطاع عن حضيض النقصان

الى اوج الكمال والعرفان والانتقال من ظلمات البعد والحرمان الى نور القرب و
مجاورة الرحمن وهو الذي بعث الانبياء والاوصياء لاظهار كيفية وخلاص
دعوتهم العباد لذلك ثلثة تعريف المقصود له بذاته وصفاته وافعاله وهو
معرفة المبدأ وبيان الصراط المستقيم الموصل اليه وهو معرفة الطريق وبيان
الحال عند الوصول اليه وهو معرفة المعاد والاول هو بيان التوحيد
العلمي والثاني التوحيد العملي الذي هو تخليص العمل لله طاعة له وصرف
همة القلب اليه والثالث التوحيد الشهودي وهو لقاء الرب الذي هو
غاية مرتبة العرفان واقصى مدارج كمال الانسان ويشير الى ذلك كله قوله تعالى
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
ويدل على ان الفوز بالجنان وحصول الكمال المقصود من خلق الانسان بالتوحيد
والسقوط الى الهاوية وظلمات البعد والشقاوة بضده الشرك قوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى ومن يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأويه النار وما للظالمين من انصار
وقوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر وهو خطاب الى اليهود والنصارى حصر فيه
شرف الكمال المعبر عنه بالبر بالايمان بالله ويوم العود اليه وقال مولانا
الصادق عم في دعائه واسئلك بتوحيدك الذي فطرت عليه العقول اخذت

به المواثيق وارسلت به الرسل وانزلت به الكتب وجعلته اول فرائضك
ونهاية طاعتك فلم تقبل حسنة الا معه ولم تغفر سيئة الا بعده ومن اجل
فضائل التوحيد ان الكافر النجس الذي هو من اشباه الكلب والخنزير
نجسه وورد الله يصير به طاهرا باطنا وظاهرا ويتخلص من نار
الجحيم الى جنة النعيم ولو كان كفره سبعين سنة والمسلم الطاهر الذي
هو كالملك لشرفه وعزته يصير بتركه نجسا رجسا خبيثا ويدخل في زمرة
الكفار في درك النار ولو كان اسلامه سبعين سنة وما هذا الفضل
العظيم الا لشرف عظيم مكنون في سر الموحد المتأله جعلنا الله تعالى من
اهل المطلعين على سره بمحمد صلى الله عليه وآله **المقدمة** وفيها فوائد ثلث
الفائدة الاولى في الاشارة الى معنى الوجود والمهية ومعنى تركب الممكن
منهما الوجود في الاصل مصدر من وجد عن عدم فهو موجود وهذا معنى
فعلي حدثي وفي اصطلاح اهل العلوم بل في العرف الشايع بعد تلخيص
الآراء ورفض الاهواء يطلق على امر عيني به تحقق الشيء وتحصل
احكامه وصدقت عنه آثاره وصار به موجودا اصيلا وفي الخارج و
في نفس الامر مثلها واحد اي في نسبة هذا الامر الخارجي عن فرض الفارض
وذهن الذاهن والمهية اصلها نسبة الى ما به الشيء هو وفي الاصطلاح
المعنى المفهوم من الاشياء الذي يوصف بالوجود والعدم وبيانها كمعنى

كالانسان والفرس وفي اصطلاح اعم يطلق على تمام حقيقة الشيء كائنة ما كانت
فيعم الواجب والممكن اذ لا شيء الا وهو بنفس حقيقته شيء ما يشاهد
من الاعيان الموجودة لا شك انه ليس محض المهية والا لصدق على المفهوم
الذهني وصح منه انفعال الاثار ولا هو محض الوجود والا لما تغايرت
الموجودات ولا هو مركب منهما تركبا حقيقيا اذ هو فرع تساويهما في الاستقلال
الذاتي وتساوقهما في نسبة الجزئية المستلزم لتفرد كل منهما في كونه بحسب
حقيقته مع قطع النظر عن الآخر مع ان المهية بما هي في نفسها مع قطع النظر
عن الوجود ليست شيئا فلا يتركب منها الموجود وبما هي موجودة نفس الكل
لا جزءه وكذا الوجود بما هو في نفسه مع قطع النظر عن المهية ليس وجود المهية
وبما هو مضاف اليها عين الموجود وايضا لو تركب الموجود منهما وكل منهما مشترك
بينه وبين ما يماثله من صنفه من الموجودات لزم صدق المركب على ما يشاركه
في الجزئين مع ان كل موجود يباين غيره بوجوده وان فرض اشتراكهما في جميع
الخصوصيات اذ لا اتحاد اخص من الوجود بل التحقيق ان الموجود امر واحد
محدود لا تركب فيه حقيقة وانما هو ذو وجهين في لحاظ العقل بمعنى ان العقل
ينتزع منه مفهومين متغايرين احدهما المهية والآخر الوجود والوجود
بهذا اللحاظ مفهوم عام بديهي انتزاعي يشترك فيه سائر الموجودات وهذا
اطلاق ثالث للوجود وهو بهذا المعنى من معقولات المفاهيم ليس حقيقة عينية

ذات انما

ذات انما هي بمجرد نسبة وانتزاع كمفهوم صانع العالم فانه ليس صانعا له بل الذات
التي ينتزع منها فكذا مفهوم الوجود ومشتق الاشياء ليس الا اشتراكا في اللفظ
نسبة لا في العبارة فقط لا في الحقيقة نعم لما توقف الانتزاع على وجود
المنتزع منه في الخارج لا بمجرد الفرض فلا بد من تعدد الجهة فيه لامتناع
انتزاع المختلفين من شيء واحد بجهة واحدة ومما ذكرناه يظهر ان ما
يقع في تحقيق القول بان الوجود مشترك اللفظ في الاشياء جميعا وان
وجود كل شيء انما هو نفسه ورديفا اسمه على معناه بان الاشياء وان
تكثرت كل تكثر ولكنها تشترك جميعا في معنى واحد هو به الاشياء حقيقة اشياء
متنوعة وهو المعنى بالوجود ليس في محله لما سمعت من عدم اشتراك الا
في الوجود العيني الخارجي بل حقيقة وجود كل شيء متقوم باضافته اليه
بشخصه نعم تشترك في مفهوم الوجود لا في تحصيله والا لما تباينت
الاشخاص الموجودة على فرض اتحاد مهياتها وحدودها ولم يمكن توجيه
تكثرها الا على القول بوحدة الوجود وهو مبنى الكثرات التي
ستنبه على فسادها نعم لو اريد بالاشتراك اللفظي الاشتراك الوضعي
فهو سقط من القول فان التباين في الشخص لا يستلزم التباين في
المفهوم ومناط الاوضاع الكلية على المفاهيم الذهنية دون الاعيان
الخارجية فلا يستقيم جعله رديف الاعلام **الفائدة الثانية** المفهوم

واعني به ما يعم الحقيقي والفرضي اذا تصور في العقل فان وجب بنفسه فهو
واجب الوجود وان امتنع وجوده كل فممتنع بذاته وان جاز ان يكون موجودا
او معدوما جميعا فممكن بذاته ثم الواجب الوجود يجب ان يكون
محض الوجود الخالص وان لم يعلم حقيقته ما هي ولم يمكن تصوره والممتنع
محض العدم والممكن الماهية بما هي في نفس معناها **اما الاول** فلانه
لو كان له هوية غير نفس حقيقة الوجود فالمقتضي لوجوده اما تلك الهوية
مع قطع النظر عن الوجود او وجوده مع قطع النظر عن الهوية او هما معا
والكل باطل **اما الاول** فلانها بنفس معناها مع عدم تصورها
في الذهن ليس محض فكيف يقتضي الوجود ومعه من مقولة المفاهيم التي
هي اشباح الفاظ عارية عن الارواح فلا يقتضي الا تاصيل صرورة ان مجرد
تصور الشيء لا ينفع الذات ولا يحقق الحقيقة مع انها بهذا الوجود
الذهني ممكنة بذاتها لجواز عدم تصورها فكانت لا شيء فكيف يؤثر في
الوجود العيني **واما الثاني** فلان الوجود لو استلزم تلك الهوية
الخاصة لزم انحصار الموجود فيهما وبطلانه بديهي **واما الثالث**
فلاستلزامه ما يلزم الاول من الجزء فان الجزء مقدم على الكل وانما الماهية
التي هي جزء المقتضي للوجود ان كانت بما هي موجودة لزم الدور وربما
ليست بموجودة فعلم لا يؤثر في الوجود فيجب ان يكون حقيقة الممتنع في

وانما الثاني فيما وجه به عنها بسبب الالفاظ بما ذكرناه في الوجود

معنى العدم وصرف مفهوم السلب الا الالفاظ المستعملة في مفهومات ثبوتية
مسماة بالمستعار انما هي قوالب لفظية ليس تحتها الا هواء فاختلفها ثم
فرضية واخترعت لها مسميات وهمية حتى انها ليست لها معان ذهنية
والا كانت ممكنة كلفظ شريك الباري مثلا فانه لو كان له معنى بنفسه وجب
ان يكون نفس حقيقة الوجود حتى كان شريك الذات لما لا حقيقة له الا ذلك
فيكون هو الباري لا شريكه فلا معنى لشريكه ذهنا ولا خارجا وكذا اجتماع
النقيضين فان مفهوم الاجتماع اذا اضيف الى النقيضين ليس له معنى في
الذهن اذ الاجتماع نسبة لا يحصل الا بالطرفين والنقيضان ليسا الا متفرقين
فكيف يتصور الجمع بينهما في الذهن حتى كان هو مفهومه واني يستطاع ذلك
وهكذا نظايرهما **واما الثالث** فلانه معنى غير نفس الوجود والعدم
فيكون قابلا لهما من غير لزوم ذاتي ولا اعني بذلك كونه امرا ثابتا ثالث
الوجود والعدم على ما زعمه المعتزلة بل بمعنى انه بنفس معناه غيرهما ولكن لا
يعرى عنهما معا خارجا وذهنا وعند عدم اقترانه بالوجوب لا ذات له
ولا ثبوت وانما يتلبس بالوجود على معنى زائد عليه متقوم به فللعقل
ح ملاحظته مع قطع النظر عن الوجود وان كان قوامه بالوجود **الفائدة**
الثالثة الممكن يستحيل ان يترجح بنفسه من غير مرجح احد طرفيه وهو
من اوائل الفطريات ومعقد وفاق ارباب العقول لان التساوي كونهما في

درجة واحدة من الامر الذي نبا اليه والرجحان هو القرب منه فلو رجح
المساوي بنفسه ناقض لنفسه ومن هذا كان ترجح المرجوح اولى بالاستحالة
وكذا يمتنع ترجح احد طرفي الممكن باولوية دون الوجوب اذ لو امكن معها
خلافه لزم امكان ترجح المرجوح وان امتنع كانت الاولوية وجوبا وتصحح
من هذا ان عدم المرجح مرجح العدم اذ الوجود امر زايد على ذاته يحتاج الى
سبب وجودي يصلح علة للوجود دون العدم ثم ان العلة المرجحة
للوجود وجب ان تكون واجبة بذاتها او منتهية الى الواجب فاستحال
التداير والتسلسل لان حاجة الممكن الى العلة انما هي بكونه ممكنا وفرعا
من غير مدخل خصوص واحد دون آخر في ذلك فحكم الفرع الممكن ولو كان غير
متناه حكم فرع واحد حتى لو نفض جميع الخصوصيات واخذ طبيعة الفرع
بما هو فرع فقط كانت الحاجة بعينها باقية فلو تدايرت او تسلسلت
الممكنات لزم ثبوت الفرع بدون الاصل والمعلول بدون علة لا واجبة
على الفرض ولا غيرها اذ لا وجود لواحد من الجملة الا بنفس انه معلول وفرع
فلا يبقى بعد رفض الزوايد الا موجود واحد معلول وبالجملة السلسلة
ولو كانت غير متناهية مؤلفة من الوحدات فاذا فرض وصف لكل واحد
ككونه جسما مثلا صدق هذا الوصف على الكل والمفروض ان كل واحد
موصوف بكونه ممكنا ومعلولا ومتفرعا على غيره فيصدق ذلك بحيث على الجميع

لا يرجح منه واحد فيلزم وجود الممكن بدون المرجح والمعلول بدون العلة والفرع
بدون الاصل **فان قلت** اشتراك الكل في المعلولية والامكان لا يستلزم
وجود ممكن بلا علة لان فرض عدم تناهيه يابى عن فرض وجود ممكن كذلك
قلت نعم يأباه ولكن صدقها يبين القضيتين المتنافيتين اللازمتين
لوجود غير المتناهي يشهد ببطلان اصل الملزوم وامتناع وجود غير المتناهي **الباب
الاول** في اثبات وجود واجب لذاته غني عما سواه مبدأ للعالم أفي الله
شك فاطر السموات والارض ونستدل عليه اولا ببرهان عقلي هو دليل
الحكمة ثم نتبعه ببيان ما هو من باب دليل الموعظة الحسنة يوجب الاطمينان
والعلم عادة لمن القى السمع وهو شهيد من شواهد نقلية وتقريبات وجدانية
اشار اليها في القرآن المجيد وبعض ما نبه عليه ائمتنا الذين هم هداة الخلق
وابواب التوحيد **نور** اما البرهان القطعي على وجود الواجب فهو
انا نرى في الوجود اشياء كثيرة من جليل وحقير وعال وسافل ومحسوس و
معقول فان كان في سلسلة الموجودات واجب لذاته فهو المطلوب والا يجب ان
ينتهي اليه بحكم الفائدة الثالثة فلا مصير الا اليه ان الى ربك المنتهى ثم
نقول لمزيد البصيرة ليس الواجب من جنس تلك الموجودات المحدودة محسوسة
كانت او معقولة لما تقرر في الثانية ان الواجب بالذات وجب ان يكون صرف
الوجود ولا هوية لما سواه فليس كمثله شيء هو السميع العليم **نور** واما

الشواهد التي هي آيات بينات لاثبات الواجب موجبة للاطمينان والاستيقان
لمن نظر اليها بعين الاعتبار لا بعين الجهل والاغترار فهي من وجوه منها تلك
اذا نظرت بعين الاعتبار الى ملكوت السموات والارض ترى فيها آيات باهرة
ودلايل ظاهرة تدلك على وجود صانعها وتدعوك الى موجدها المدبر لها
القاهر عليها المتصرف فيها كيف يشاء بحيث كاد من فرط الظهور دهشت به
النفوس وتحيرت به العقول وترها مسخرات بامره واقفة بباب فقرها
اليه وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
وحسبك من تلك الآيات ما اشار اليه في القرآن المجيد في مواضع كثيرة
نقتصر على جملة منها نبه عليها بعض الاجلاء وهي في قوله عز اسمه ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في
البحر بما ينفع الناس وما انزل من السماء من ماء فاحيى به الارض
بعد موتها وبث من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين
السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وفي قوله تع ومن آياته خلق
السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات
للعالمين وفي قوله تع ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم
من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون وفي قوله تع ومن آياته
ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن آياته ان خلق لكم

من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون وفي قوله تع وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن
ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية
لقوم يعقلون وفي قوله تع الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء
ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وفي قوله تعالى
وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون يتفكرون وفي قوله تع وفي الارض
قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير
صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون وفي قوله تع وهو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق
الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون وفي قوله تع وهو
الذي جعل النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات
لقوم يفقهون وفي قوله تع فالق الاصباح وجعل الشمس سكنا والشمس
والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وفي قوله تع ان الله فالق
الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله تعالى

فإن نتفكرون الى غير ذلك من الاشارات التي هي آيات بينات في صدور الذين
اوتوا العلم يهدي الله به من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من
الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وفي الاحاديث تنبيهات
وافية لارشاد العباد الى دقايق صنع الاشياء وحكمها ومصالحها وعجايبها
وبدايعها مما تحيرت فيه الاقلام وقصرت دون دركها ثواقب الاذهان سيما
في كلمات امام الموحدين امير المؤمنين ومولانا الصادق الامين عليهما السلام
خصوصا في حديث المفضل المروي عن المفضل المبين لعجايب الحكمة وغرايب
التقدير ثم لا يخفى على من تامل في تلك الآيات والتنبيهات ورجع
الى فطرته ان هذه الامور العجيبة والحكم الغريبة وبدايع التدبير ومصالح
التقدير ليس ان يوجد الا بصانع ولا تصنع الا بمدبر ولا يستتب الا بحكيم بل ذلك
تقدير العزيز العليم فطر اجناس الخلق وصورها وقدرها في تصاريفها
في الدهور والازمان بحكمة بالغة وقدرة نافذة وقضاء مبرم وعلم محكم
ولنعم ما قيل هل يجوز احد ان يأتلف سفينة على نظم متقن الا بصنع صانع
وتدبير مدبر وهل لا يكون تجويزه خروجا عن فطرة العقول فما في العالم من
السموات والارضين وما بينهما والسموات بكواكبها وشمسها وقمرها وطلوعها
وغروبها واختلاف حركاتها لتقدير الليالي والايام وتدبير الفصول
والاعوام ثم الارض بما فيها من جبالها وسهولها وبحارها ومعادنها

وانهارها وحيواناتها بانواعها ونباتاتها باصنافها ودقايق صنعها وتحقيق
كل ما يحتاج اليه في حفظها وابقائها ثم ما بين الارض والسماء بغيومها
وامطارها وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وعواصفها الى غير
ذلك مما لا يحصيه عدد ولا ينتهي علمه الى احد وان اجتهد فيه العادون ثم
في الامور الباطنة والمعاني العقلية مما لا ينقطع الوجدان في الدلالة على
ملبر ومقدر فانكاره مع ذلك ارتضى نفسه في التردد في وجود كتاب
لا كاتب له واثر قدم لا قادم له اشد مكابرة واوضح معاندة ثم
اقول من الامور العظيمة ان تلك المخلوقات بما فيها من عجايب الصنع والتقدير
لا يصنعها من هو من جنسها سئل مولانا الرضا عن الدليل على حدوث العالم
قال انك لم تكن ثم كنت وقد علمت انك لم تكون نفسك ولا كونك من
هو مثلك وقالت بعض الاجلة انك تجد من نفسك بغير اشكال انك
لم تخلق جسدك ولا روحك ولا حيوتك ولا عقلك ولا ما خرج من اختيارك
من الآمال والاحوال والآجال ولا خلق ذلك ابوك ولا امك لانك تعلم يقينا
انهم كانوا عاجزين عن هذه المقامات مثلك ولو كان لهم قدرة على تلك
المهمات ما كان يحيل بينهم وبين المرادات فصاروا من الاموات فلم يبق
منفعتهم ابداع واحد منزه عن امكان المتجددات خلق هذه الموجودات
ذلكم الله ربكم والحكم واكرم الخلق اجمعين **ومنها** اجابة الدعوات وكشف

الكرامات واغاثة المضطرين وكفاية المتوكلين المشهودة بالعيان والاعتبار والمعلومة
من تواتر الاخبار وتظافر الحكايات والاثار فانها تشهد بوجود اله خبير بصير
رؤف رحيم قادر حكيم قاهر فوق عباده غالب على امره محتجب عن عيون خلقه
قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان
كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون
ما تشركون ومنها معجزات الانبياء والاوصياء التي هي فوق قدرة
البشر المعلومة بتواتر الاخبار والسير الشاهدة على صدق دعواهم وحقية
رسلهم لهداية السبل لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ومنها
اتفاق ارباب العقول القوية والنفوس الزكية من الانبياء والاولياء و
العلماء والحكماء وساير فرق الانام على وجود صانع للعالم قائم بنفسه وان
اختلف شرذمة في صفات المبدء وشئونه ولكن لا خلاف في اصله الا لقليل
لا يعبأ به من الدهرية الجهلاء والطبيعية العمياء ومن المستحيل عادة اتفاق
هؤلاء الاساطين من الاولين والاخرين على الخطاء وامر باطل فمن شك كان
عقله اولى بالاتهام عنده بسوء الفهم وجمود القريحة ختام فيه ايقاظ
قيل التصديق بوجوده تعالى فطري بصيغة فطرة الله التي فطر الناس عليها
ولذا ترى الناس عند الوقوع الى الاهوال التي لا يهتدون فيها الى الحيلة
يتوكلون على الله بحسب الجبلة ويتوجهون توجها غريزيا الى مسبب الاسباب

وان لم يتفطنوا به وروي هذا المضمون عن مولانا الصادق ع وفي روايات
تفسير الفطرة بالتوحيد والمعرفة وفي بعضها قال رسول الله ص كل مولود
يولد على الفطرة يعني على المعرفة بان الله عز وجل خالقه فذلك قوله تعالى ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله اقول تلك الفطرة
اما ارشاد سرّ غريزي في الخلق نحو خالقهم او القوة المدركة المجبول عليها
الانسان التي يقضي بها بالبديهيات من غير حاجة فيها الى تجشم القياسات البرهانية
والايلام التعقل ومنها الحكم بافتقار الاثر الى المؤثر والممكن الى العلة
كما يحكم بوجود الكاتب وارادته وحيوته بمشاهدة الكتابة ومن هذا المنهج
الانبياء الناس بالاستدلال العقلي على وجود صانع العالم وقال نبينا ص
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وانما الاستدلال للتعمق
وزيادة البصيرة او لرد اهل الضلال والجحود او لتحصيل سائر مراتب العرفان
ثم الفطرة بالمعنى الاول قد تستر على القلوب من تراكم الظلمات الحاصلة
من تبعات الذنوب فكشفها يحتاج الى دفع تلك الاغشية بمواظبة العبادات
والمجاهدات وحفظ القلب عن الخطرات واليه الاشارة في الاخبار من حصول
العلم بالعمل وبالعكس فقال سبحانه ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وبالمعنى الثاني ربما يستتر الحق
ويلتبس الضروري فيحتاج الى الاستدلال لمؤانسة الذهن بشبهات الجاحدين



ومغالطات المعاندين والابتلاء بخبث النفس ووساوس الشيطان وقد يكون
سببه الغفلة عن الحق للانس والالفة بالمحسوسات وملكات الحس والوهم
والاعتياد بمشاهدة الموجودات بما هي من غير نظر الى فاعلها ومدبرها بحيث
يذهل عنه ولا ينتبه عليه ولا يانس الا بمذاكرة كثيرة وترتيب مقدمات قياسية
ولذا اذا راى الانسان على سبيل الفجاة حيوانا غريبا او فعلا من افعال الله
خارقا للعادة انطلق لسانه بالمعرفة فيقول سبحان الله ولا ينطلق بها بما
يرى طول الزمان من بدايع خلقة نفسه واعضائه وساير الحيوانات المالوفة
وكلها شواهد قاطعة فلا يحس شهادتها بطول الانس بها ولو فرض اكمه
بلغ عاقلا ثم ارتفع غشاوة من عينيه فامتد بصره الى السماء والارض و
الحيوان والاشجار دفعة واحدة يشهد بلا تامل هذه العجايب على خالقها بل
ربما يخاف على عقله ان يبهر لعظم تعجبه من شهادتها عليه وذكر بعض
العلماء وجها آخر لقصور المعرفة وهو ان شدة ظهوره سبحانه في آثار قدرته
وآيات علمه ولطفه وحكمته في العالم بحيث لم يشذ منها ذرة في ملكوت
السموات والارض صارت سببا لاختفائه ودهشت العقول عن ادراكه
فكما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لفرط ظهوره مع ضعف بصره
فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق وغاية
الاستغراق فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصاير بظهوره لقوة

ظهور



ظهوره ودلالة الاشياء عليه وعمومها بحيث لا ضد لها في الوجود حتى يستبان
بهي السبب في قصور الافهام شعر لقد ظهرت فلا تخفى على احد الا
على اكمه لا يعرف القمرا لكن بطنت بما اظهرت محتجبا وكيف يعرف
من بالعرف استترا الباب الثاني في توحيد الواجب بمعنى عدم شريك
له في الالوهية والوجوب والدليل عليه ايضا ناتج بالحكمة المحققة للباب
المعرفة واحرى بالشواهد الاطمينانية نور الدليل البرهاني على وحدة
الواجب الوجود وعدم الشريك له ان الموجود بذاته وجب ان يكون في
صرف ماهيته بسيطا احدى الذات لا تركيب فيه من الاجزاء ولا ينحل الى
اشياء وكل بسيطة الحقيقة يمتنع فيه التعدد فيمتنع ان يكون الواجب
لذاته متعددا اما الصغرى فلما علمت في الفايدة الثانية من ان واجب
الوجود يجب ان يكون محض الوجود ومحض الوجود لا تركيب فيه لانه لو تركب
فاجزاؤه اما محض وجودات فيكون تكرر محض حقيقته وتركب عن نفسه وان كانت
غير وجودات فان كان محض ليس لم يصلح جزءا للشيء فضلا عن محض الوجود
وان كانت لا ليسية فقد تاخر عن محض الايس لتركبه منه فناقض الجزئية
المقدمة على الكل واما الكبرى فلان محض الشيء لا يتكرر وصرف الوجود
لا يتكرر فاذن لم يكن له كفوا احد ويكون حاق ذاته شاهدا على وحدته
شهد الله انه لا اله الا هو ومنه يظهر ان الشبهة المنسوبة الى ابن كمونة

في التوحيد من جواز كون ما به الاشتراك عين ما به الامتياز غلط فاحش اذ لا يعقل
ذلك في هوية الوجود الذي هو صريح التقرر وبسيط التثبت او الوهم
ان اختلج ببالك ان الوجود مشترك الصدق بين الواجب والممكن لا بمحض
اللفظ بل بمعناه المفهوم منه لغة وعرفاً اذ لا يمكن سلب هذا المفهوم
العام عن كل منهما ولازمه تكثر الجهة في الذات المنافي للوحدة الخالصة
عن جميع الجهات والحدود فيدفع بان المفهوم ليس بموجود محض في الخارج
كما ستعلم بل هو امر انتزاعي فلا يلزم من الاشتراك فيه الشركة في شيء
موجود كما في ساير صفاته تع فان قلت الامر الانتزاعي لزم ان يكون ما
به الانتزاع في الخارج عن الذهن والا جاز انتزاع كل مفهوم عن كل موجود
وصدقه عليه فيلزم التركيب ايضاً عما به الانتزاع في الخارج قلنا سيأتي
مشروحاً في باب الصفات ان مفاهيم الالفاظ حيث تطلق على الله تعالى
بمعانيها المختلفة كالموجود والعالم والقادر والحي والحكيم وغيرها فهي واقعة
في مقام الاشارة الى الذات الاحدية وتعريفها باعتبار تجلياتها بتلك
الاوصاف في مجالي الحدوث والامكان ومظاهر المكونات والاكوان
على حسب درك المشاعر والافهام لا لوجود مباديها في الذات وجهاتها
وكيف ذلك وهي صنع الذات وآثارها وان للاثر بما هو اثر ذكر في ذات
المؤثر بل هو منقطع عن ذاته بحكم الاثرية والا لم يكن له اثراً فلا يشاد

فيما

فيما يدخل في ذات المؤثر فوز واما الشواهد المورثة للاطمينان وسكون
النفس بوحدة الموجود بذاته فهي كثيرة ولنقتصر على وجهين اشار اليهما امام
الموحدين امير المؤمنين ومولانا الصادق عليهما السلم اما الاول فما قال
لابنه الحسن ع بقوله ع واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله
ولرايت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد
كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه احد ولا يزول ابداً وحيث لا اثر له وجود
لزم ان الكمال حسن محبوب والكامل يحب اظهاره وكذا يحب افادة نعمه
واشاعة فضله وبسط ملكه وانشاء سلطانه مع ان الانبياء كلهم بعثوا
من لدن اله واحد لعبادة معبود واحد فما خلا الله مخلوق والله خالق
كل شيء واما الثاني فما استشهد به فيما روي عنه ع عندما سئل عن الدليل
على ان الله تع واحد من اتصال التدبير وتمام الصنع كما قال عز وجل لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا فانك اذا تأملت ترى العالم كانه دار واحدة
منتظمة في غاية النظام محتاجة الى كل جزء منها بحيث لو فقد واحد انتقض
حتى ان النملة الصغيرة تحتاج في تعيشها الى الحبة تاكلها الى الارض والماء
والهواء بكراتها والشمس وحركاتها بافلاكها المديرة لها وملائكتها
المحركة اياها وغير ذلك من بدايع الصنع التي تطول الكلام بذكرها ومثل هذا
شانه لا يصدر الا عن مدبر واحد قال بعض العلماء كما ان ايتلاف اعضاء

الشخص الواحد الانساني منتظمة في رباط واحد منتفعة بعضها من بعض مع اختلافها
وامتياز بعضها من بعض يدل على ان مدبرها وممسكها عن الاختلال قوة واحدة
ومبدأ واحد فكذلك ارتباط الموجودات بعضها مع بعض على الوصف الحقيقي
والنظم الحكمي دليل على ان مبدعها ومدبرها وممسك رباطها عن ان تنفصم
واحد حقيقي يمسك السموات والارض ان تزولا اذ لو كان معه من الشركاء
صنع بعضهم من بعض فينقطع الارتباط ويختل النظام اذن لذهب كل
اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ثم التعدد بما ينجر الى اختلاف
الارادات المقتضي للتمانع المستحيل **الباب الثالث** في توحيد الذات و
ما يترتب عليه من الصفات السلبية وتنزيهه سبحانه عما لا يليق به سبحان
الله عما يصفون واعلم اولا ان الصفات التي يطلق على الله جل قدسه
وعظم سلطانه قسمان تنزيهية قدسية وهي التي ترجع الى السلوب كالقدوس
والسبحان والسلام ونحوها وثبوتية كمالية وهي ايضا قسمان ذاتية وهي ما لا
يصح سلبه عن الذات ازلا وابدا وكمال على الاطلاق وفعلية وهي ما لا ينفك
عن الفعل فصح سلبه ما لم يصدر الفعل فهو كمال في الجملة وكل منهما قسمان اما لانها
اضافية وهي ما لم تتعلق بالغير بحسب المفهوم كالعالم والقادر والسميع والبصير
والرحيم ونحوها وغير اضافية وهي ما لا تعلق له به وقد يعبر عنها بالقدسية
ايضا كالحي والباقي والازلي والقديم وامثالها واما الفعلية فمحضة وهي

ما لا مبدأ له الا نفس الفعل كالخالق والرازق والمعطي والمحيي والمميت وامثالها
وقد يراد بها ما يرجع الى الصدق على الفعل كالخالقية والرازقية فيرجع الى
الصفات الذاتية وغير محضة وهي ما كان في الممكن كيفية عارضة نفسانية
مقارنة للفعل كالمريد والمشيء وفي الواجب هو نفس الفعل ايضا وتغايرها
مع الفعلية المحضة بامر اعتباري ومنه ورد ان المشية والارادة و
الابداع معناها واحد واسماؤها ثلثة وعلل في الاخبار كون المشية من
صفات الفعل لا الذات بامكان سلبها وصحة التعليق فيها فيقول ان شاء الله
ولا يصح ان يقال ان علم الله فجعل الارادة من الصفات الذاتية وانها عين
الذات غفلة واضحة مع ان قول المعصوم حجة عليه وربما يوجه ذلك
بارجاعها الى العلم وهو ايضا خطأ فان العلم الذاتي الذي هو عين
الذات لا متعلق له كما سننبه عليه فلا يمكن تاويل الارادة به واذا علمت
ذلك ففي هذا الباب انوار باهرة تنير في تحقيق كل مطلب الى دلالة قاطعة
عقلية وشهادة معتبرة نقلية كما اشرنا اليه اولا **نور** لا يجوز على الله
جل وعلا العدم والا لما كان وجوده واجبا ولانه عين الوجود كما تقرر
فهو صريح الشيء بما هو شيء بنفسه والعدم لا ذات له ان هو الا سلب
لا شيء سلب فيمتنع ان يصير الشيء لا شيء والايس ليسا ان هو الا تناقض
مستحيل فاذن هو قيوم ازلي وباق ابدي لا زوال له ولا اضمحلال كل من عليها

فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام نور واذ هو بسيط الحقيقة
احدي الذات فليس له في ذاته حد محدود ولا وصف موجود ولا رسم ولا تمام
ولا قيد ولا كيف تنزه عن الحدود والجهات وتقدس عن كل ما فيه شائبة
معنى غير صرف الوجود البات اذ لو كان فان كان محض ليس لم يكن ذا تحقق
واصالة ولا اليه اشارة وحوالة وان كان له البتة تاخر عن محض الايس
وانقطع دونه فلا يجري عليه ما اجراه ولا يصاحب الازل ما ابداه عادت
الكثرات الى الملك والقديم تبارك وتعالى وحده لا شريك له فهو في
ذاته هو لا سواه لا ذكر فيها لما عداه حتى ضاق المجال عن الاثبات كما قال
مولانا الصادق عليه السلام في حديث الزنديق ان الاثبات لجرم التفهيم
بتاويل نفي العدم وفي حديث عمران الصابي لمولانا الرضا عليه السلام في
تنزيهه تعالى عن العلم بنفسه انه يستدعي ذكر الغير اذ المعلمة بالشيء لنفي
خلافه ولا شيء مخالف لتدعوه الحاجة الى نفي ذلك عن نفسه وفي صدر
هذا الحديث اما الواحد فلم يزل كان واحدا كائنا لا شيء معه بلا حدود
ولا اعراض ولا يزال كذلك وعن مولانا الباقر عليه السلام انه واحد احدي المعنى
ليس بمعان كثيرة مختلفة وعن الصادق عليه السلام في كتاب الكافي والتوحيد
ان الله عظيم رفيع لا يقدر العباد على صفته ولا يبلغون كنه عظمته الى ان قال
لا يوصف بكيف ولا اين ولا حيث وكيف اصفه بالكيف وهو الذي كيف

الكيف

الكيف حتى صار كيفا فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف ام كيف اصفه بالاين
وهو الذي اين الاين حتى صار اينا فعرفت الاين بما اين لنا من الاين ام كيف
اصفه بحيث وهو الذي حيث الحيث حتى صار حيثا فعرفت الحيث بما حيث لنا
من الحيث فالله تعالى داخل في كل مكان وخارج عن كل شيء لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار نور واذ علمت انه تعالى منزه عن كل جهة وحد وحيث
تعلم ان ذاته المقدسة تعالى عن اقتضاء شيء بالاضطرار واستتباع
بالاستلزام لان الاقتضاء امر وجودي غير الذات منشأه في كينونة الذات
فلا يجري عليه والا لزم التكثر الممتنع عن الازل فاين الاقتضاء والاضطرار والا
يستدعي موجبه فان كان الذات فيمتنع صدور ما يخالفه عنه مع انه
مبدأ جميع ما في الامكان فلا يخرج عن قدرته شيء الا الممتنع بالذات وهو
ما ليس بشيء وان كان غير الذات لزم التركيب المنافي للوحدة الصرفة
فهذا يعلم انه لا يناقضه شيء ايضا لاستدعائه اقتضاء العدد والتكثر
الممتنع عن القدم لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا نور ومما علمت
من تنزيهه سبحانه عن جميع ما سواه يعلم ايضا انه سبحانه منزه عن التنزيه كما ينزه
عن التشبيه لان التنزيه معناه السلب وهو فرع امكان الاثبات ولو ذاتا
وان امتنع خارجا للمانع اذ هو قضية حملية يتوقف على النسبة الحكمية لثبوتها
وتصورها فرع امكانها مع انها ممتنع التصور في الذات الاحدية الا بمجرد

لفظ لا معنى تحته فان تصور النسبة يستلزم تصور الاقتران وهو يستلزم
التساوي في الرتبة مع ان كل شيء من الامكان والاكوان منقطع دونه
ومحترق لديه لا ذكر له في رتبته فكيف تصح النسبة حتى يقع السلب التنزيه
على الحقيقة وبتقرير اخر السلب امر وجودي هو اثر فعل السالب اعني
النسبة السلبية ولانه ضد الاثبات فيكون وجوديا ما لا لم يكن شيئا حتى
يحكم عليه بالضدية ولذا ليس لله ضد فانه محض العدم وهو لا شيء ومنه
قال مولانا الصادق ع ان النفي شيء فيرجع الى الاثبات حقيقة ولما وقع
في رتبة الذات وهي منزهة عن كل نسبة اذ لا ذكر لشيء فيها ولا للاشياء ان
هي الا هي وتم الكلام فيناقض التنزيه نفسه فان الذات منزهة عن
كل نسبة ثبوتية وسلبية والى هذا يشير قول الامام عليه السلام في معنى الله
اكبر بانه اكبر من ان يوصف تعليلا بانه ليس ثمة شيء حتى يكون اكبر منه
ولعله ايضا مفاد كلام امير المؤمنين عليه السلام في جواب يهودي سأله كيف
كان ربنا قال ع انما يقال كيف لشيء لم يكن فكان هو كائن بلا كينونة كائن
بلا كيف يكون كائن بلا كيف كان لم يزل بلا كيف كان قبل القبل بلا قبل
يكون قبله بلا غاية ولا منتهى الحديث ثم ان ما في القرآن المجيد وكلمات
المعصومين عليهم السلام من توصيفه تع بالتنزيه فهو على التوسع من باب التعريف
على حسب كينونة العباد ومنزل على رتبة الاسماء والصفات في الحدوث كما

سنبّه

سنبّه عليه **نور** ليس له جل وعلا جهة فقر وحاجة لا لنفسه في ذاته
لانه واجب محض ذاته غني في خالص حقيقته متقوم بخلاص كينونته متاصل
بمحاض انيته لا اتم منه ولا اشد فلا يتناهى في تماميته الى حد فيتصور مرتبة
فوقه كان فاقدا لها ولا لدفع عدم فيدعو الحاجة الى سبب منعه ولا لدفع مبطل
فيحتاج الى معين دفعه ولا لفعله لانه مبدئ كل وجود ومصدر كل فيض و
جود وتوقف خلق بعض الاشياء الى الواسطة انما هو لحاجة المخلوق
اليها في استفاضة الوجود منه تع والواسطة منته اليه ايضا وبيده ازمة
الكل لا يفوته شيء ولا يخرج عن قدرته نور وفي وعنت الوجوه للحي القيوم
نور انه تع ليس محل الحوادث لا من العوارض الجسمانية المدركة باحدى الحواس
الظاهرة كالحركة والسكون والانتقال والخفة والثقل والحلول والتحيز
والكون في جهة والرؤية في جهة بالنظر والتشكل والابصار واللمس و
الذوق والاستماع والتكلم بنفسه وامثال ذلك لانها من خصائص الاجسام
وعوارض المحسوسات واين هي من الهوية الاحدية الازلية ولا من الكيفيات
والحالات النفسانية المتجددة كالسرور والغم والغضب والميل والكراهة
والاسف واشباهها لانه تع فاعلها فلا ينفعل بها والا تركب من جهتي
الفعل والقبول وتغير صفاته حيث تغير المتجددات المتعاقبة فتركب من
قوتي الدفع والجمع تعالى عن ذلك وما ورد في الكتاب والسنة من اثبات الرضا

والكراهة والحب والغضب ونحوها لله سبحانه فهو بتأويل الغايات دون
المبادي وظهور الآثار دون المعاني وفي الكافي في التوحيد عن مولانا
الصادق ع فلما آسفونا انتقمنا منهم ان الله سبحانه لا يأسف كأسفنا
ولكنه خلق اولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون
فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه لانه جعلهم الدعاة اليه
فلذلك صاروا كذلك وليس ان ذلك يصل الى الله كما يصل الى خلقه لكن هذا
معنى ما قال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ودعاني اليها
وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فكل هذا يشهد على ما ذكرت لك و
هكذا الرضا والغضب وغيرهما من الاشياء مما يشاكل ذلك ولو كان يصل الى
المكون الاسف والضجر وهو الذي احدثهما وانشأهما لجاز لقائل ان يقول ان
المكون يبيد يوما لانه اذا دخله الغضب والضجر دخله التغير واذا دخله التغير لم يؤمن
عليه بالابادة ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكون من المكون ولا القادر من المقدور
ولا الخالق من المخلوق تعالى الله عن هذا القول علوا كبيرا نور ان الله عز شانه
منزه عن الازمنة والامكنة فهو باق لا بزمان ممدود وكائن لا في مكان محدود
فثابت لا في شيء يستقر فيه ولا على شيء يعتمد عليه ليس له حال حائل ولا ماض
منه حائل ولا مستقبل آجل لا يوقته متى ولا يضمه حين لم يزل ولا كما هو آخر

واخرا

فاخرا كما هو اول والدليل عليه ان امتداد الكون المتجزي بالازمنة الثلثة عين
نفس الكون فان اقترن بوجوده تعالى فان لم يكن بابداعه تعدد القديم وان
ابدعه جرى عليه ما اجراه وعرضه ما احدثه وابداه وكل ذلك مستحيل كما
تقدم فالله سبحانه هو عين الازل ونفس الكون ولا شيء معه متى عن كينونته
ما للابداية والنهاية واللانهاية محيط على الازمان والاوقات لا كما انها
ولا بداية لها اصلا انية سرمدية فكل ما وجد وسيوجد حاضر عنده في
الآن لا خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وفي المروي عن مولانا امير المؤمنين
كان قبل القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد وقال ايضا ع سبق الاوقات
كونه والعدم وجوده والابتداء ازله وقال ع ان قيل كان فعلى تاويل
ازلية الوجود وان قيل لم يزل فعلى تاويل نفي العدم لم يسبق له حال فيكون
اولا قبل ان يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا وقال تعالى وما
امرنا الا واحدة كلمح بالبصر او هو اقرب انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا
كشف عرفاني وحيث انه تعالى غير محاط بزمان ولا محدود باوقات فلا
يتغير علمه بتغير الحادثات واختلاف المتجددات بل كلها على تغيرها واختلاف
حالاتها المتعاقبات موجودة عنده حاضرة لديه في امكنتها واوقاتها المتناهية
ازلا وابدا ويظهر معنى قوله علمه بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين
فان المماثلة تدل على تساويهما في الظهور مع ان حصول الصورة الذهنية سبحانه

مستحيل كما ستعلم وكذا كان مالكا للملك قبل خلقه ويظهر سر قوله ع لم يكن خلوا
من ملكه قبل انشائه قال مولانا الرضا ع ليس منذ خلق استحق معنى الخالق
ولا باحداثه البرايا استفاد معنى البرائية كيف ولا يغيبه مذ ولا يدنيه قد
ولا يحجبه لعل ولا يوقته متى ولا يشتمله حين الحديث وقال مولانا الهادي ع
الاشياء كلها له سواء علما وقدرة وملكا واحاطة الحديث فالمكان والمكانيات
بالنسبة اليه تعالى كنقطة واحدة والسموات مطويات بيمينه والزمان والزمانيات
ازالها وابادها كآن واحد فان حجب الاشياء بعضها عن بعض هي الزمان والمكان
فحيث فرض عدم احتجابهما كانت جميعا كانها نقطة لا تتجزى في آن لا يتجزى
وان شئت تقريب ذلك بمثال فانظر الى ان نفسك وصفحة ذهنك فانك
ترى فيها صور الاشياء المتعاقبة المتتالية في الازمان الماضية وتجد على صورها
المرائية حاضرة في الآن عندها على اختلاف حالاتها من غير تفاوت بين القريب
والبعيد فترى دفعة واحدة في زمان حالك تلك بعضها وشبابك وهرمك و
هكذا في ساير احوالك المتعاقبة على ما شاهدتها في خارج نفسك على التعاقب
نور وحيث علمنا انه سبحانه منزه عن الحدود والصور فلا ينسب اليه ما ينسب
الى الممكنات بعضها مع بعض فلا يشابه شيئا ولا يماثله ولا يجانسه ولا يناقضه
ولا يضاده ولا يلزمه ولا يستلزمه ولا يوافقه ولا يخالفه ولا يساويه
ولا يباينه ولا يتصل به ولا ينفصل عنه ولا يفارقه ولا يقارنه ولا يدخل فيه

ولا يخرج عنه ولا عنه ولا عليه ولا اليه ولا منه ولم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد لان كل ذلك مقامات الخلق وتوابع الحدود والصور فلا يتصف
بها الله المتعالي عنها ولانه سبحانه خلقها بينهم فلا يجري عليه ولا يعرف بها
وان الملك في الملك ليس كمثله شيء قال مولانا امير المؤمنين ع الادوات
تحد انفسها والآلات تشير الى نظائرها اعرفوا الله بالله ان لحدود الخلق و
خالقها وان شئت تفصيل ذلك فاما التشابه فهو تناسب في الهيئة و
لا هيئة له سبحانه والتماثل تناسب في الجزء الاخص ولا جزء له والتجانس في
الجزء الاعم كذلك والتضاد يناقض مبدئية الكل لان الضد ان كان واجبا
او منتهيا الى واجب لزم تعدد القدماء او ممتنعا فلا يكون شيئا ونحو التناقض
واللزوم ينافي الاستقلال مع ما فيه من مفاسد اخرى والاستلزام يستدعي
الاقتضاء المستحيل بما مر والموافقة تقتضي جهة التوافق كما يلزم جهة التخالف
لمكان الاثنينية فلزم التكثر والمخالفة يوجب التكثر مع وجود جهة التوافق ويمنع
حكم الفاعلية ومع عدمه لامتناع كون المخالف من حيث هو مخالف علة للمخالفة
والا لصح صدور كل مخالف عن مخالف ومنه ظهر حكم التباين والتساوي ينافي
الصدور ويستلزم تعدد القديم والاتصال يستدعي المناسبة في الملتقى
الموجب للتكثر الممتنع عن الازل والانفصال من خصايص الجسماني ان كان حسيا
وان كان غيره يرجع الى المخالفة والموافقة الممتنعين ومما ذكر يظهر حال ساير

الاضافات والنسب مما ذكر ولم يذكر والقول الجامع ان الله سبحانه منزه عن جميع
المعاني التي يتصف بها الممكنات ولا يمكن اعتبار عينيتها للذات لانها مجرد نسبة
ورابطة ومن هذا جاز رفع النقيضين في الامكان عن الله عز وجل ويشير اليه كلام
امير المؤمنين ع داخل في الاشياء لا كدخول شيء في شيء وخارج عنها لا كخروج شيء
عن شيء وقوله ع مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة وقوله ع قريب
في بعده عال في دنوه ظاهر في خفائه **ايضاح** روي عن مولانا امير المؤمنين ع
انه قال توحيده تمييزه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة ومما يؤيد
هذا بقاعدة عن اصيلة تداولت بين جماعة وهي ان بسيط الحقيقة كل الاشياء
فيفهم المغايرة الواقعية واثبتها بالحدود الامكانية والتعينات الرسمية و
التطورات الخلقية كتطورات الواحد في الاعداد وهذا ايضا سيعرف في اصله
وجهه فلا يؤول كلام الامام عليه السلام بل الظاهر ان مراده ع ان بينونة العزلة تستلزم
الاستقلال والمقابلة والتضاد منها منفية عن الحق كما ورد لذا ايضا نفي الوحدة
العددية عنه سبحانه لما من شأنها مقابلة العدد التالي بل مغايرة للاشياء مغايرة
الصفة عن الموصوف فانها دون رتبة ذات الموصوف ولا شيء عندها ومضمحلة
لديها لا يصح عنها شيئا في مقابلها وانما هي ظهور الموصوف واقفة ببابه وحكاية
عنه لا تدل على سواه فلا يضاده لعدم الفرق بينهما في التعريف الا لم يكن حكاية و
دلالة عليه وكيف يكون الشيء بما هو غير حكاية عن مغايرة لا اقول بشؤون جهة

ولما

وحدة بينها وبين الذات فكانت حاكية عنها بما هي شأن الذات وحاكية عنها
باعتبار ظهورها بالصفات والآثار لا باعتبار نفس الحقيقة لان الاثر خارج عن
الذات منقطع دونها فكيف يكون بيانا وكاشفا للحقيقة بل هكذا الحال في
صفات الخلق وموصوفاتها فان قيام زيد في زيد لا يبين حقيقة زيد وانما هو
مجرد اشارة اليه في مقام التعريف وحكاية عنه باعتبار اثره وسيجيء زيادة بسط
لذلك في باب الصفات وبالجملة فالخلق كله في حكم الصفة للحق قائم به ومضمحل
عنده وبينونته عنهم بينونة صفة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ
ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون **نور** واذ علمت انه سبحانه
منزه عن الحدود والكيفيات فلا يدركه الاوهام ولا يحيط به الاحلام لا يعرف
كنهه ولا يوصف ذاته ولا يحكم عليها بشيء عدا الاثبات اثبات نعتا هو ابع على حد
اثبات الممكنات كما اشار اليه الامام ع ان قيل كان فعلى تأويل ازلية الوجود
ان قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم وبالجملة هو مجهول مطلق وعما صرفا انقطعت
دون ذاته في مستتر الغيوب اشارات المعاني والعبارات وضلت هنالك تصاريف
الالفاظ وتصاريف اللغات كل ما فهمناه وعبر وصفناه داير على الخلق ساير في الحقيقة
وذلك لان المعرفة فرع الاحاطة وهي يستلزم التحديد المستلزم للتكثر الممتنع من
الوجوب وما هو محض الوجود وصريح النور لا يحيط به شيء بل هو بكل شيء محيط
لا يخرج عن سعة احاطته محسوس ولا معقول ولا متوهم ولا متاصل ولا جليل ولا حقير

فلا جهة ولا قطر وانه ادراك الشيء ظهوره عند المدرك وتجليه عليه وهو
اما بالصفة او بالكينونة والثاني يستحيل في درك الاثر للمؤثر لان كينونة ذات
الاثر رقيقة صفة المؤثر لا ذاته فلا يصل اليها بل ينقطع دونها لامتناع عروج
الشيء عن مقام ذاته فقصته حجابه عنها كما اشار الى هذا مولانا امير المؤمنين ع بقوله
لا يحيط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع عنها واليها حاكمها وقال ع
ايضا في امتناع درك الذات بالتعريف والتوصيف رجع من الوصف الى الوصف
ودام الملك في الملك وانتهى المخلوق الى مثله والجاه الطلب الى شكله الطريق
مسدود والطلب مردود دليله اياته ووجوده اثباته انما تحد الادوات انفسها
وتشير الادوات الى نظائرها وقال ع في بعض خطبه المروية في الكافي ان له الهيبة
لمجاول الافكار ورادع لطامحات العقول فحسر كهنه نوافذ الابصار
وقمع وجوده جوائل الاوهام فسبحان ربك رب العزة عما يصفون نور الله تعالى
منزه عن القبيح ولا يليق به فعله بل فعله الكرم وعادته الاحسان وافاضة الخير الى
المحتاجين عناية بهم واعطاء كل ذي حق حقه والسوق الى كل مخلوق رزقه
في التكوين والتشريع وهو قوله تعالى واعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهذا
معنى العدل بمعنى وضع كل شيء في موضعه كما ينبغي وعلى ما ينبغي وضده الظلم و
الجور والعبث وبهذا الاسم جرى حكم التشريعات والرسالات وتقرر الثواب
والعقاب والميزان والحساب وما ربك بظلام للعبيد ومن هذا وصف نفسه بالرحيم

العامة في قوله سبحانه الرحمن على العرش استوى وبه ورد قلب المؤمن بين
اصبعي الرحمن يطلب منه واقفا ببابه لائذا بجنابه الصراط المستقيم لانه مقتضى
الرحمانية حيث ان الطلب من وسائل الوصل بل بهذا طلب كل موجود بلسان
استعداده كماله فاعطاه وبه دام المداد وانتظم امر الخلق على ما اجراه وعلى الحكمة
الدليل على ذلك كله نقلا الايات المتظافرة والاخبار المتواترة والضرورة
الدينية وعقلا ان تعلق مشيته سبحانه بالفعل ليس بواجب لذاته والا
تعدد القديم فلا بد له من مرجح وليس هو حاجة يعود اليه سبحانه لغناه المطلق
فلزم كون المرجح رجحان الفعل في نفسه ولو لكونه وسيلة لحصول النفع
للغير المستحق له وخلوه عما يعارضه من المفسدة ولا نعني بالحسن الا ذلك
وبالقبيح ما يخالفه فيستحيل صدور القبيح منه تعالى مجده ولحفظ هذا و
اغتنم به

الباب الرابع

في الصفات الكمالية والنعوت الذاتية قوله
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها نور قد دلت محكمات الكتاب وفي النصوص
المتواترة بل قضت ضرورة الدين بل اتفاق المسلمين على ان لله سبحانه
صفات كمالية يدعى باسمائها وهذه كافية لمن امن بالرسول وصدق النبوة
في الاذعان بها الا انا نستدل عليها من طريق العقل ايضا بوجهين احدهما
بالدلالة الكشفية الاثرية وهي دلالة ما نشاهده من اثار الصفات وانوارها
في الافاق وفي الانفس بحيث لا يشذ عنها ذرة في الارض ولا في السماء ولا

لها في كل مكان ولقد اغنى الصباح عن المصباح وما تقدم من التنبيهات العرفانية
والهدايات الرحمانية عليها كفاية لمن له ادنى دراية فانك اذا نظرت
بعين الاعتبار الى اعيان الشهود واكوان العالم عاليها وسافلها ظواهرها
وبواطنها فواعلها وقوابلها اسبابها ومسبباتها سماواتها وارضها وما بينهما
وحركاتها وسكناتها وابعادها نضودها واصولها ومواليدها جمادها
ونباتها وحيوانها وبرها وبحرها وجواهرها واعراضها وشاهدت انفسنا
واجسامنا واختلاف اصنافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجمع اطوارنا
وتركيب اعضائنا وايتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ونبات شعورنا و
تشكل اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة الى غير ذلك من غرائب
حكم قصر عن احصائها لسان كل واصف ودقائق صنع حسر عن فهمها انسان
كل عارف وتاهت في دركها العقول وتناهت دون الاحاطة باداينها
افهام الفحول على صنع محكم ونظم متقن تراها كما تشهد بوجود خالقها
وصانعها تشهد ايضاً بالضرورة بكمال علمه وعموم قدرته وبسط سلطانه
وعظيم عظمته وعميم رحمته ودقيق حكمته وجميل كرمه وانه يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد الى غير ذلك من صفاته العظمى واسمائه الحسنى افلا ينظرون
إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ
نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ اما ترى

انك

انك اذا رايت انسانا يخيط محكم قطعاً بحويته وعلمه وقدرته بالخياطة و
ارادته وان يد الخياط لا يتحرك بنفسها من غير شعور وارادة وقلم مع ان
هذه الصفات منه لا تحس بشيء من الحواس الخمس فهل يكون جميع ما في العالم من
محسوس ومعقول وحاضر وغائب مما في الملك والملكوت ادون في الدلالة
من ذلك وما اذا رايت تصنيف انسان تعرف به قدر فضله وكماله والعالم كله
تصنيف الله سبحانه فانظر الى اياته في صفحات الوجود وكلماته المكنونة على
اوراق الشهود فترى فيها من لطف تدبيره وحسن تقديره واثار حكمته
وكمال قدرته ورحمته وفضله الى غير ذلك ما يبهر به عقلك ويدهش به قلبك
ويعجز عن تقديرها احصاء مقاديره العادون وان تقف عليه الخلايق الى يوم
يحشرون وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا **ثانيهما** البرهان الحكمي اللمي
وهو على ما سنح لي ان الصفات الكمالية التي يوصف بها الذات مع ابنهائها
المختلفة المتكثرة ستعلم انها ليست هيئات مستقرة فيها فلزم التكثر المحال بل
هي تجليات نورها في الحدوث على كينونات معقولنا في مرايا الافعال والاثار
فنشأتية ومبدئية لاثار الصفات مقام حكم التوصيف وهي لا مرية
مقدمية الاثار الكمالية له ثم تعلق مشيتها على حسب مقتضيات الشرايط
والقابليات اما الاول فوجهه انها ممكنة بالذات اذ لا يمنع ذاتا سوى العدم
الصرف واللاشيء المحض المناقض للشيئية في مقابل الوجود الواجب عز وجل

كما تقدم في المقدمة وحيث هي ممكنة لزم كونها مقدورة لله سبحانه اذ لولاه
فان لم تتأثر لعلة ناقض امكانها وهف ان تاثرت لا به او بما ينتهي اليه
لزم التسلسل المستحيل بحكم المقدمة او تعدد الواجب وبه تم هو المطلوب
واما الثاني فلان الممكن حيث ترجح وجوده على عدمه باي جهة كانت
يجب صدوره عن الفاعل فان كان الفاعل مخلوقا فمرجح الفعل ارادته
وهي ايضا تستدعي المرجح فتوجد وجب وان كان الخالق فارادة نفس
الفعل فلزم رجحان من الخارج لغناه تعالى عن الحاجة ولا مرجح اقوى من حسن
الفعل سواء كان ذاتيا او عارضيا لذاته حيث كان يتعلق به المشية وسياتي
زيادة بيان لذلك في الباب الآتي ولان ترجيح القبيح قبيح فلا يصدر
عنه سبحانه كما مضى فيما تقدم ومن هذا تبين ايضا ان له سبحانه من كل
متقابلين من كمال الموجود بما هو موجود اشرفهما على وجه يليق بجلاله وكل
متقابلين يكونان كلاهما صفة كمال للموجود بما هو موجود فكلاهما ثابتان له
عز وجل على الوجه الاكمل كالنعوت الجلالية والجمالية المعبر عنهما في القرآن
المجيد بقوله ذو الجلال والاكرام وذلك مثل اللطف والقهر والرحمة و
الغضب والرضا والسخط وغير ذلك **تنوير** فاضطربت الافهام في
كيفية صفات الله تعالى فان اسماء تلك الصفات الواردة على لسان اهل
الشرع ونطق بها كتاب الله اسماء معان ليست باعلام ولا هي مترادفة على معنى

واحد لانه يفهم ويقصد من كل منها غير ما يفهم ويقصد من الآخر فهي معان مختلفة
ترد على ذات الواجب تنافي الوحدة الحقيقية مع ان اصل الصفة يقتضي موصوف
واتصاف فيلزم التثليث فان قلنا بثبوت هيئات متقررة وكيفيات راسخة
في الذات كما عليه الاشاعرة العميا لزم التكثر المستلزم للحدوث الممتنع عن الازل
سبحانه سبحانه عن التحديد والتشبيه لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة وان قلنا بنفي الصفات فنعزل بان السموات والارض عن سلطانه
سبحانه سبحانه عن الابطال والتعطيل وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت ايديهم وزعم قوم انها زائدة ولا يلزم التكثر والتركيب منهم الرازي
قال ما خلاصته ان صفاته تعالى معلومة لنا وذاته غير معقولة فلا يتحدان والا
لكانت نفس الذات لكان قولنا الذات عالمة قادرة جاريا مجرى قولنا الذات
ذات فاستحال ان يكون محل البحث والاستدلال على النفي والاثبات ولكان
الاستدلال على صفة مغنيا عن التجشم للاستدلال على غيرها بدليل خاص ثم
قال فالاله مجموع الذات والصفات ولا دفع لزوم التركيب فالاسلم ان المجموع
مفتقر الى تحقق اجزائه الا ان الذات قائمة وواجبة بنفسها وهي بعد ثبوت
وجوبها يستلزم تلك النعوت والصفات الزائدة ان كانت ازلية لزم
تعدد القدماء وان كانت حادثة ولو بالذات فالذات محدثها وفاعلها
فيلزم تعدد جهتي الفعل والقبول في الذات وكونها محل الحوادث وثبوت

لعقل
وهذا لا امتناع لو عقل
ويعود على الفعل في الذات
الصفات

الاقتضاء والاستلزام وكلها باطلة تنافي الوحدة الصرفة كما مضى والى هذا
اشار مولانا امير المؤمنين ع من وصفه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه
فقد جزاه فيكون هناك اصلا قديما لم يزل الله ولم يكن معه شيء ولا يزال كذلك
ومنهم من اول الصفات بالسلوب فقال يراد بالعلم عدم الجهل وبالقدرة نفي
العجز وهكذا وهو ايضا خبط وخطاء لان تلك السلوب ان كانت متكثرة
متمايزة لزم تميزها بامر وجودي اذ لا تمايز بين الاعدام فيلزم التكثر المنافي
بضرورة الشرايع والاديان ونصوص القران وما في بعض الاخبار من التاويل
بالسلوب فهو في مقام ردكنا اياها تنبيها على عجزنا عن تصورها وفهم حقيقتها
التي هي عين الذات كما اشار اليه الامام ع في حديث الزنديق المقتنع في اثبات
تعالى الموهم للتحديد وهنا اراء اخر هي اهواء واهية كزعم اهل
الاعتزال ان هنا احوالا غير مجعولات وظن بعض جهلاء الفلاسفة ان هناك
هو ولا غيره الى غير ذلك من المذاهب الباطلة التي الحد فيها الجاهلون واتفق
المحققون من اصحاب الحكمة والعرفان ان الصفات عين الذات على ما دل عليه
اخبار المعصومين ع كقول مولانا الصادق ع لم يزل الله تعالى ربنا والعلم ذاته اذ
لا معلوم والسمع ذاته اذ لا مسموع والبصر ذاته اذ لا مبصر والقدرة ذاته
اذ لا مقدور فلما احدث الاشياء وقع العلم منه على المعلوم الحادث ولكن اختلفوا
في تقرير العينية مع اختلاف المعاني ووحدة الذات على وجوه اكثرها فاخرة

كقول

كقول جمهور الفلاسفة ان الاختلاف اعتباري لا حقيقي ويرجع ذلك الاعتبار الى
اختلاف متعلقات الصفات واضافاتها الى الذات فاذا قلنا انه عالم فهو باعتبار
انكشاف المعلومات له وقادر باعتبار مقدوريتها وهكذا وانت خبير بان الامر
الاعتباري ايضا يستدعي منشأ الاعتبار في الخارج فان كان جهة ترجع الى الذات
يلزم التكثر الممنوع وان كان يرجع الى الفعل كانت الصفات الكمالية كلها فعلية
وهو خلاف ما اتفقوا عليه من تقسيمها الى الذاتية والفعلية وتحقيق المقام
على الاقرب ما يسعه الكلام في المقام يتم بذكر مقدمتين **احديهما** ان مفهوم
الشيء غير ما هو الموجود في الخارج ولذا لا يصح ان يقال الانسان الموجود مفهوم الانسان
ولا هو جزء الخارجي فكان الموجود مركبا منه ومن الوجود تركيبا حقيقيا وانه
فرع الاثنينية واستقلال كل منهما في التحقق وهو منتف كما تقدم في الفائدة بل
هو مثال الموجود العيني في مرآة الذهن ولحاظ العقل قال بعض المحققين
من نظر الى مفهوم الانسانية فهو من حيث هذا النظر غير واصل الى الحقيقة
الانسانية ومن نظر الى عين وجوده وان قطع النظر عن ذلك المفهوم فهو
واصل الى الانسانية وذلك ان الانسان في الحقيقة هو احد الموجودات
بشخصه الذي هو بذاته انسان واما مفهوم الحيوان الناطق او مفهوم الانسان
فهو ليس بانسان بحمل المتعارف وكذا مفهوم البحر ليس ببحر ومفهوم اللذة ليس
بلذة وعلى هذا القياس انتهى **وثانيهما** انه ليس من شرط المشتق كالعالم

والحق ان يكون بازائه في الخارج امور متعددة موصوف وصفة واتصاف
معروض وعارض وعروض بل يكفي في صدقه مجرد التغاير الاعتباري التعبيري
فلو فرض بياض مجرد قائم بذاته لكان ابيض ومفرق البصر كما كان بياضا فحمل
المشتق مبني على اعتبار كون الشيء ذا نفسه كما في اضافة نفس الشيء اليه فنقول
جائني زيد نفسه واذا اتضح ذلك فنقول الصفة الذاتية ما الدق الموصوف
مبدء محقق يظهر لاجله الاثار الفعلية في الشهود وهذا المبدء في الممكن مبنية
مستقرة في ذاته قائمة بها كالشجاعة واثرها الخوض في الحروب والوقوع في
المخاطر والاهوال بلا خوف ودهشة والجود مبدء الكيفية النفسانية في
اثرها البذل والاعطاء وفي الواجب هو نفس الذات بلا تعدد جهة وحيثية
ويصدر منها بنفسها الاثار والافعال بلا كيف يتصور ولا تنثلم الوحدة
باختلاف الاثار والمظاهر وحيث لا يعنا درك الصفات الذات الاحدية بوجه
ولا صدور الفعل عنه تعالى فلا يعنا درك الصفات ولا نسبة الافعال اليه اذ لا
كيف لفعله كما لا كيف لذاته كما قاله الامام عليه السلم فيما سنسمع فلولا امر الشارع
ما وسعنا توصيفه بالصفات كما قال سيد الساجدين عليه السلم لولا الواجب من
قبول امرك لنزهتك عن ذكري اياك وفي خطبة الوسيلة المعروفة عن امير المؤمنين
ان قيل كان فعلى تأويل ازلية الوجود فان قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم فالتكلم
في صفاته الذاتية خبط وضلال اذا بلغ الامر الى الله فامسكوا ان الذين يلحدون

في اسمائه سيجزون بما كانوا يعملون هذا هو القول في مبادي الصفات وحقايقها
فان كلها حقيقة واحدة عين الذات واما بحسب المفاهيم فهي معان متكثرة
يشير الى مصداق واحد ولا توجب تكثره لما علمت ان المفهوم غير الموجود في الخارج
انما هو مثال العين في الذهن فلا يلزم تكثرها تكثر العين بل هي مظاهر
الحقيقة البسيطة الازلية في مرايا المشاعر نعم لما كانت العين الموجودة
منشأ انتزاع المفهوم ولازمه تعدد جهات الانتزاع في العين حيث تكثرت
المفاهيم ويمتنع هذا في الحقيقة الاحدية الازلية المنزهة عن جهات الكثرات
ففيها محل انتزاع مفاهيم تلك الصفات من جهات الذات لا على ما هي في
حاق هويتها التي لا سبيل للعقول الى دركها وتصورها بل بما تجلت به على المشاعر
الادراكية على كينوناتها بملاحظة الاثار والافعال وهذا هو رتبة الواحدية
ومقام الصفات ووجه الذات في الحدوث ومثالها الملقى في هوياتها على
حسب قابلياتها كما قال امير المؤمنين عم لا تحيط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها
امتنع عنها فهي صورة الذات بكمالاتها التي هي في مقام الذات حقيقة واحدة هي
عينها في صقع الحدوث على مجالي العقول على طبق كينوناتها فالكثرات كما علمت
من قول الامام عم عادت الى الملك والقديم وحده لا تكثر فيه واشار اليه ايضا
بقوله المنقطع وجه من الوصف الى الوصف عدم الملك في الملك وانتهى المخلوق
الى مثله والجاه المخلوق الى شكله الى قوله انما تحد الادوات انفسها وتشير الالات

الى نظائرها وقال مولانا الرضا عليه السلام ان الله المبدأ الواحد الكائن
الاول لم يزل واحداً لا شيء معه فرداً لا ثاني معه لا معلوماً ولا مجهولاً ولا محكماً
ولا متشابهاً ولا مذكوراً ولا منسياً ولا شيئاً يقع عليه اسم شيء من الاشياء غيره
الى ان قال وما اوقع عليه من الكل فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من
فهم الحديث والقول الجامع في ذلك ما قال مولانا الصادق عليه السلام كلما ميزتموه
باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود اليكم وبالجملة الموصوف
بالصفات هو مثال الحق الملقى في مرايا العقول على حسبها لا على حسبه ومع ذلك
لا يصح سلبه عنه كالشبح المرئي عن بعد فيرى الكبير صغيراً او الطويل قصيراً
ومع ذلك لا يصح ان يقال هذا الصغير القصير ليس زيداً مثلاً فهو هو ولكن لضعف
بصر الناظر عن مشاهدة البعيد بما هو في حاق نفسه يراه على غير ما هو وعلى
هذا القياس صفاته سبحانه فان انا بها في الحدوث مشهورة ومباديها بما هي
غير متعقلة وما نتعقلها على حسب ادراكنا لا يصح سلبه عنه نعم كما انا نصفه
بالبقاء والدوام ولا نتصور الا امتداداً زمانياً مؤلفاً من آنات متعاقبة
تذهب وتجيء وهذا الامتداد لا يجري عليه تعالى كما عرفت فليس له ماض وحال و
مستقبل ومع ذلك يصح لنا ان نقول كان الله فيما مضى وفي الآن وفيما يأتي
فكان وكائن ويكون لان هذا المعنى هو ظهور البقاء لنا على طبق كينونتنا
بمعنى انا لا نستطيع تعبير البقاء الازلي وتصويره الا كذلك فنشير في مقام التعريف

بالبقاء

بالبقاء الزماني الى الازلي لان تفسير ما في القدم للحادث لا يمكن الا بما يتصور في
الحدوث ويطابقه ومن مثال ذلك ايضاً صورة المقابل المرتسمة في المرآة المعوجة
فانه لا يصح سلب كونها صورة له مع انها لا تطابقه بل لا فرق بينها وبينه
غير انها آية يستدل بها عليه في وجوده وكماله واذا كانت المرايا مختلفة في
الاعوجاج فله في كل مرآة ظهور بحسب ما يحتمله من الصورة واذا فرض ان
ان المقابل لا صورة له في نفسه وانما يتشكل بها في المرآة عند المقابلة فلا يطابق
شيئاً من الصور بوجه اصلاً ومع هذا هي مثاله وصورته على حسب كينونة المرآة
لا يصح سلبها عنه ؛ وكل يدعي وصلاً بليلى ؛ وليلى لا تقر لهم بذاكا
وقس على ذلك صور الصفات له تعالى في الحدوث وكينونات العقول بقي القول
في توجيه حمل المشتق المشعر بالاثنينية بل التثليث على الذات وجه ما ذكرنا
من كفاية التغاير بمجرد اعتبار لفظي بحسب الوضع في صدق المشتق كحمل الابيض
على البياض واضافة الشيء الى نفسه غاية الامر ان حمل المشتقات المختلفة
المفاهيم على موضع واحد يستلزم تعدد جهات الموضوع وقد علمت ان صدق
مفاهيم الصفات وحمل مشتقاتها على الذات الاحدية انما هو بحسب ظهورها
في الحدوث على كينونات العقول في مقام التعريف والاشارة الى الذات في
بناء الاوضاع العامة على المفاهيم المتصورة الامكانية فلا مدخل لها في
صقع الوجوب التي ضربت سدته ولم يخالطه الحدود والكيفيات اللازمة في

مقام التصور في الوضع العام **تلخيص** خلاصة المقال في هذا المجال انك بعدما
علمت ان الله احدي الذات من جميع الجهات وعلمت آثاره في الشهود المستدعية
لمبادي هي الصفات المقتضية لها كما اذا نظرت الى نفسك وهي اقرب الاشياء
اليك فعلمت ان لها مؤثرا موجودا وهو حي عالم بك قادر عليك حكيم حيث
اوجدك على صنع محكم وخلق متقن الى غير ذلك من كمالاته الظاهرة لك من آثاره
هذين الدرين المعلومين الاذعان بشيئين متفرعين عليهما **احدهما** ان تلك
الصفات في المبدأ القديم المقتضية للآثار لا تعدد لها بل هي حقيقة واحدة
عين الذات لئلا يلزم التكثر الممتنع في الازل وان لم يتصوره عقولنا لكونه
فوق مقامها كما اشار اليه مولانا الصادق عليه السلام بقوله تبارك يا الهي و
لم تبد هيئته فشبهوك وجعلوا بعض اياتك ربا بابا يا الهي فمن ثم لم يعرفوك
يا سيدي وهذه هي رتبة الذات المعبرة عنها بالاحدية فلا اضافة هنا
للصفات واليه الاشارة في قول الامام عليه السلام كما سمعت لم يزل الله ربنا والعلم
ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع الى قوله عليه السلام فلما احدث الاشياء وكان
المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع الحديث وهنا لا يبقى للكلام
اكثر من ذلك كما قال عليه السلام كل دون صفاته تحبير اللغات وضل هناك تصاريف
الصفات وحار دون غيبه المكنون حجب الغيوب فتاهت في ادنى ادانيها
طامحات العقول فانقطعت عندها الاشارات **وثانيهما** ان تلك الصفات

بمعاينها

کتابخانه مجلس شورای ملی ۱۳۰۲

بمعاينها المتكثرة المختلفة ثابتة له لا بمعنى انها في حاق ذاته بل بما يعرفه من تجليه على
عقولنا ومداركنا بافعاله وآثاره الصادرة عنه صدورا لا يعرف كيفيته
اذ لا كيفية له كما ستعرف فيجري حكم الصفات واضافاتها الى المتعلقات على ما
ودل على ظهوره بابداعه وهذه هي الرتبة المسماة بالواحدية التي ظهرت
الوحدة بصفات الربوبية ونعوت الالوهية **تبصرة** ويستفاد بين
الرتبتين اسماه الظاهر والباطن حيث يدل الاول على ظهوره ثم في رتبة الفعل
والواحدية والثاني على خفائه في رتبة الذات والاحدية وحيث ان صفاته
في غاية الكمال كما ستعرف فلا شيء اظهر منه ولا شيء اخفى منه وهو جل ان لا شيء
اظهر للشيء من نفسه لانها اقرب الاشياء اليه ولا شيء اخفى مما كان نفسه حجابه
والله تعالى من حيث خلقه للمخلوق بنفسه مظهره في الصفات وحجابه للذات والى هذا
اشار فاتقدم من كلام امير المؤمنين عليه السلام فيما قال لا تحيط به الاوهام بل تجلى لها بها
ولها امتنع عنها والى ما حاكمها فهو علا كل شيء وعلا من كل شيء تجلى لخلقه
من غير ان يكون يرى وهو بالمنظر الاعلى وهذا معنى قوله عليه السلام اعرفوا الله بالله
وقوله عليه السلام ليس لنا طريق الى معرفته الا بالعجز عن معرفته هذا اذا اعتبر الصفات
بحسب المفهوم والاضافة الى الغير واما اذا اعتبرها بالاضافة الى الذات فينها فان
ظهور الذات لذاتها بذاتها هو عين ذاتها ولا يتصور الخفاء فيها ولا ادعى
هنا الغير الذات اذ الغير ممتنع فالظهور والبطون بتلك الملاحظة بمعنى واحد

فهو ظاهر في كونه باطنًا وباطن في كونه ظاهرًا نور وإذ علمت أن حكم
الصفات بمعانيها المتكثرة جرى في الحدوث في مقام ظهور الواحدية ولا ذكر
لها في حضرة الأحدية غير أنها حقيقة واحدة عين الذات فكل ما في الأخبار من
نفي الصفات يراد به في رتبة الذات كما أشار إليه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام
مضافًا إلى الكلمات الشريفة المتقدمة من وصف الله فقد حدّه ومن حدّه
فقد عدّه ومن عدّه فقد أبطل أزله ومن قال كيف فقد استوصفه الحديث
وما نطقت به الشريعة من ذكر الصفات والأسماء يراد به في الرتبة الثانية
التي هي مبدأ الإضافات والتجليات ومقام الفرق بين الصفات والذات
حيث لم يكلف الناس بالدلالة والهداية فوق تلك المنزلة إذ لا سبيل لهم
إلى معرفته بل كلفوا بما أراد الله معرفته بصفته التي وصف بها نفسه وهي
صفة محدثة وإن لم تشبه صفة الخلق أيضًا لأنها آية الأحدية وهي غيرها هنا
كما عرفت فكل حد يتصور من مقاماته له مقام فوقه فلا تعطيل لمقاماته في
كل مكان فيزداد المعرفة بالتجاوز من مقام إلى آخر وهذه المعرفة هي المقصودة
في الشريعة من إنشاء الصفات قال مولانا الباقر عليه السلام خلقها الله أي
الأسماء والصفات وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه
فهو ذكره وكان الله ولا ذكر ولا مذكور والمذكور بالذكر هو الله القديم
الذي لم يزل والأسماء والصفات محدثات الحديث ومن هنا يظهر وجه

ما ذكرنا من أن أسماء الله توقيفية فإنه لا سبيل لنا إلى معرفة الذات لكن يجب
وتسميه بما لم توقفنا فاللازم علينا في دعوته والإشارة إليه الاقتصار بالتعبد
بما وصف الله نفسه لعباده وسماها به فيراد بالموصوف الإشارة إلى
الذات كما في الخبر المذكور بقوله والمذكور بالذكر هو الله القديم والصفات
واقعة في مقام التعريف كما إذا قلت يا قائم وتريد زيدًا فالمدعو هو زيد لا
لأنه إنما هو موصوف بالقيام وإنما القيام في مقام التعريف وليس منظورًا إليه
فالمسمى واحد قديم والأسماء كثيرة حادثة كما قال عليه السلام كل موصوف مصنوع وصانع
الأشياء غير موصوف فالتعبد بذكر الوصف ليس إلا لكونه مرآة المعبود لا
أنه مقصود بالعبادة وإلى هذا أشار مولانا الصادق عليه السلام في حديث هشام بقوله
الاسم غير المسمى فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئًا ومن عبد
الاسم والمسمى فقد أشرك وعبد اثنين ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك
التوحيد أفهمت يا هشام قال قلت زدني قال إن لله تسعة و
تسعون اسمًا فلو كان الاسم هو المسمى لكان لكل اسم منها إلهًا ولكن الله معنى
يدل عليه هذه الأسماء وكلها غيره الحديث فظهر أنه لم يرد بالاسم اللفظ
لعدم ذهاب وهم إلى كونه معبودًا قديمًا ولم يستدع السائل مع فضله زيادة
بيان لذلك بل المقصود الرد على القول المنسوب إلى الأشاعرة من أن للصفات
مدخلية في ذات القديم فأبطله بأن كل واحد من تسعة وتسعين اسمًا يدل وحده

على الله من غير مشاركة سائر الأسماء، ويعبد بهذا الاسم فلو كان الذات مع خصوصية
هذا الوصف معبوداً لتعدد الإله المعبود بتعدد تلك الأسماء والصفات التي
يعبد الله بكل منها لاختلاف المركب باختلاف جزئه ولعمري إنه إشكال
عجيب وبيان لطيف صدر من مشكاة النبوة وفي دعاء عرفة لسيد الشهداء عليه السلام
روحنا فداه الهي امرتني بالرجوع الى الآثار فارجعني بكسوة الأنوار وهداية
الاستبصار حتى ارجع اليك منها مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد
عليها نور وحيث علمت ان حكم الصفات بمعانيها المنكشفة التي تطلق عليه تعالى
جرى في رتبة الحدوث ولا تورث الوحدة الذاتية والتسمية بمجرد التعريف و
الاشارة تبين لك ان القول بكون الوجود مشتركاً لفظياً بين الواجب والممكن
حذراً عن لزوم التركيب مما به الاشتراك والامتياز على الاشتراك المعنوي شطط
من الكلام لأن وجوده سبحانه كسائر صفاته عين الذات بحسب الحقيقة المجهولة
الغيبية وغيرها بحسب المفهوم والأوضاع اللغوية تدور على المفاهيم الذهنية
ويجري عليها دون المصاديق الخارجية فلا يلزم من الاشتراك المعنوي تكثر
في الذات إذ لا وضع لها للذات بل يشار بمفهومه الموضوع له إليها من باب
التعريف كما سمعت من كلام الإمام ع ويشهد به ضرورة الوجدان أيضاً فإنا نعلم
قطعاً أنه لم يضع الواضع لفظ الوجود تارة للواجب وأخرى للممكن كيف والأمر
هذا الحكم في ألفاظ سائر الصفات كالعلم والقدرة والحيوة والسمع والبصر

والرحمة

والرحمة وغيرها لاشتراكها مع الوجود في الجهة المقتضية لذلك ولم يقل به أحد
نور الصفات الذاتية في رتبة الذات منزهة عن وصف التناهي وعدم
التناهي لأنهما عين الذات والنهاية واللانهاية من صفات الممكن فتمتنع في القديم
وأما في رتبة الظهور والحدوث مقام الواحدية فهي غير متناهية بمعنى أن عينها
بحيث لا يخرج عنها درجة من درجات الامكان الغير المتناهي فان كل درجة منها
تحتمل درجة فوقها في الامكان ولو تكثر افرادها الى ما لا نهاية له فكل ما يقبل
الوجود لذاته داخل في عموم قدرته ووفور علمه وسعة رحمته وغيرها من صفاته
وأسمائه فهو أقدر القادرين الى ما لا نهاية له وأعلم العالمين وأرحم الراحمين وأكرم
الأكرمين وأعظم المتجبرين وأشد المعاقبين وهكذا وما يخرج من عينها فهو
ممتنع بذاته عن قبول الجعل والوجود كجمع المتناقضين هو ليس محض لا يقبل الايسية
ويدل على ذلك مضافاً الى ما قدمناه من استجماعه لجميع الكمالات الامكانية فيشمل
جميع درجاتها المندرجة من القوابل الامكانية الغير المتناهية صدق الكمال
على الكل ان صفته لو كانت محدودة بحد من درجات الامكان فلا بد لجهة مخصصة
الى هذا الحد فان رجعنا الى الذات لزم التكثر المنافي للوجوب والنقص او الوصف
ناقص امكان فوقه او الى مانع خارج فان كان واجباً لزم تعدد الواجب او ممكناً
تعلق القدرة به والا لزم التسلسل المستحيل نور واذ تبين لك ان حكم الصفات
في مقام التجلي بالافعال والآثار فتختلف الصفات باختلاف الظهورات وقابليات

المشاعر الادراكات وتدور عليها في العموم والخصوص وما بينهما من المراتب في
الشرف والكمال والبهاء والتجلي الاعظم والظهور الاعم الاتم على اشرف ما يحمله
الامكان حصل بالابداع الاول والفيض الاقدس فهو رتبة الواحدية التي
بتنزل الحب وورد ان النملة تزعم ان لله زبانيتين لانهما كمالها وسر ما ورد
من صورة التشكيك في صفاته تعالى في الدعاء اللهم اني اسألك من بهائك
بابهاه ومن علمك بانفذه ومن كمالك باكمله وخبر الهداة قال النبي
يا علي لا يعرف الله الا انا وانت اي المعرفة الكاملة التي لا فوقها في الامكان
لان لهما رتبة الاشرفية فعرفا الله بما تجلى لهما بهما فالصفات الكاملة البالغة
الى المرتبة القصوى وانتم مداد وجوده المقدس الذي هو التجلي الاعظم و
كل ما يتنزل دونها من خصوصيات هذا التجلي العام وقيود اطلاقه التام وتنزلات
بهائه واشعة ضيائه والمراتب المتنزلة عنه على اختلاف كينونتها سبل
معرفة الله ومختلفة في الاستقامة والاعوجاج والصفاء والكدورة
فالمعرفة الحقة تطلب من المرايا الصافية الباقية على فطرتها على حسب درجاتها
في العلو والسفل والقرب من التجلي الاول والوجه الاعظم قال الصادق ع
نحن الاعراف الذين لا يعرف الله الا بسبيل معرفتنا فهم كما وصفوا انفسهم
الشريفة اصول الكرم وقادة الامم وابواب الايمان ومحال معرفة الله وحفظة
سر الله والرحمة الموصولة والامانة المحفوظة من اتاهم نجى ومن لم ياتهم هلك

ور

ومن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون نور ولما كانت الصفات الذاتية في مرتبة الذات
عينها فلا مناسبة بينها وبين صفات الخلق ولا يشبه وجوده تعالى وجود الممكنات
فانه لا ذكر لغيره عنده وممتنع لديه وهي مضافة الى الحدوث والصور وقائمة
بها قيام تحقق كقيام الصورة بالمرآة اذ ليست هي الا ظهورات الحقائق الامكانية
القائمة قيام صدور ومستمر بنور الله الشارق من صبح الازل وافق الابداع ساطع
على هياكل الامكان الغير المتناهية ثم مندرجا على حسب ترتب الشرائط والاسباب
على اعيان الاكوان كما سياتي تفصيله في الباب الاتي فهذا منهج الحق الموافق
للشرائع الدينية في التوحيد الوجودي لا ما طغى به اوهام اكثر المتصوفة و
فرقة من المتفلسفة من وحدة الوجود في الواجب والممكن وانه حقيقة واحدة هي
ذات الحق والكثرات والتعينات اطواره وشؤونه في الامكان على اختلاف
يسير في طرقهم وملاوا منه طواميرهم ووضعوا فيه كلمات طريفة وتمويهات لطيفة
وتشبيهات سخيفة نظما كلها اخباط واغلاط ليس الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله
سريع الحساب يقولون كل شيء هو الله بلا خصوصية فالحجر مثلا مركب من وجود
هو الله ومن ماهية هي الخلق فالحجر هو الله بلا حجرية وتكون الحقيقة عندهم واحدة و
الكثرات اطوارها والحدوث ظهورها بالصور المختلفة وظهورها بالتعينات

التشبه فاعل باحدى يديه وقابل بالاخرى ومثلوا تقوم الخلق بالحق بتقوم
الامواج بالبحر والحروف بالالف والنقوش بالمداد والكلام بالنفس والاعداد بالواحد
والثلوج بالماء ويقول شاعرهم وما الناس في التمثال الا كواحد و
اسلها الماء الذي هو نابع ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء
والامر واقع وقال آخر البحر بحر على ما كان في قدم ان الحوادث امواج
وانهار لا يحجبنك اشكال يشاكلها عمن تشكل فيها فهي استار وقال آخر
فقد كنت دهرا قبل ان يكشف الغطا اخالك اني ذاكر لك شاكر فلما اضاء
الليل اصبحت عارفا بانك مذكور وذكر وذاكر وقال ابن العربي في الفصوص
فانا اعبد حقا وان الله مولانا وانا عينه فاعلم اذا ما قيل انسانا فلا
بانسان فقد اعطاك برهانا فكن حقا وكن خلقا وكن بالله رحمانا وغذ
خلقه منه فكن روحا وريحانا فاعطيناه ما يبدو به فينا واعطانا
فصار الامر مقسوما باياه وايانا وامثال هذه من الخرافات والاباطيل
التي قضت ضرورة الدين (الشريعة) ببطلانها واستفاض نقل الاجماع من اساطين الدين
على تكفير قائلها وما احسن ما اورده بعض من هو منهم فقال في حاشية
الفتوحات عند قوله سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها الا تستحيي من الحق
ايها الشيخ لو سمعت من احد انه يقول فضلة الشيخ عين وجود الشيخ لا تسامحه البتة
بل تغضب عليه فكيف يسوغ للانسان نسبة هذه الهذيانات الى الملك الديان تب

الى الله توبة نصوحا لتنجو من هذه الورطة الوعرة التي تستنكف منها الدهرية
والطبيعيون فيا ويلهم متى احاطوا بذات الله فنوعوا فيها تلك الخرافات
وليس كمثله شيء ومن له بحقيقته فاستباحوا فيها تلك التشبيهات ولا تضربوا
لله الامثال فبالله كبرت كلمة تخرج من افواههم تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ولما كان هذا القول بظاهره ظاهر
الفضائح والقبائح لكون الذات محل الحوادث وحصول التكثر والتغير والانفعال
فيها وربط الحادث بالقديم واتصال الحدث بالازل وغيرها من خصايص الحدوث
ونقايص الامكان بل صدق الله الملك المتعال معاذ الله على كل موجود حتى
مثل الكلب والسنور صدق المطلق على المقيد وان كان القيد خارجا كصدق
الجسم على الاسود مع خروج السواد عنه تصدى بعض محققيهم ومصنفيهم لاصلاحه
فقال (جواب لما) مرادنا بتصور الله بصور الخلق وانه كل الاشياء هو ظهوره في مراتب الواحدية
اعني مرتبة الصفات والافعال بصور الكل بمجموعها دون مرتبة الاحدية فان
الذات في مرتبة نفسها بما هي منزهة عن جميع الصور والحدود وليست الا نفسها
ازلا وابدا فهو الله سبحانه كل في مرتبة الكل لا في مرتبة الذات واستشهد بقول
شاعرهم كل شيء فيه معنى كل شيء فتفطن واصرف الذهن الي كثرة لا تتناهى
عددا قد طوتها وحدة الواحد طي فلا يلزم من تكثرها وتغيرها كثرة وتغير
في الذات فلا يلزم منه صدقه على كل شيء لان حدوده خارجة منه فيصح سلب

المركب وتوضيح مراده ان الذات في مرتبة الفاعلية متصورة بالحدود الفعلية
لا في مرتبة ذاته وقوام الفعل بالذات فالحقيقة للذات والصور للفعل فلا يلزم
التكثر والتغير في الذات من حيث هي وذلك كما ان الاشياء بالنسبة الى وجودها
على قول غير اهل الوحدة ايضا فان الوجود نفسه غير متصور بالماهية كما هي مذكورة
فيه مع ان ما هو حقيقة الشيء الموجود اي ما به صار الشيء شيئا وذا حقيقة
ليس الا الوجود فكما ان الوجود لا يصدق على الماهية الموجودة كالحجر والفرس وغيرهما
على قول غير القوم كذا لا يصدق على قولهم فهذا الوجود في مقام ذاته من حيث هي
لا بشرط فيه الماهية فلا يصدق عليها في مقام صفته مقيدا بها ومضافا اليها كالواحد
والعشرة فان الحقيقة هي الواحد والآثار للعشرة اذ ليست العشرة الا الوحدات
المكررة فالتكثر وصف للواحد متقوم في حقيقته به فلا حقيقة الا الواحد
هذا الباب خيالهم وحقيقة مقالهم وانت اذا تأملت صادقا تجده اختلاف
تعبير لا يغني من الحق شيئا وان مرتبة الواحدية التي ظهرت فيها الحدود والتعينات
ان قلت ليس لها وجود محقق بل مجرد وهم وخيال فلا جواب لك الا السكوت ضرورة
ان ليس حرارة النار وتحريقها وبرودة الماء وترطيبها والامتياز الواقع بينهما
امرا خياليا سوفسطائيا مع ان الموهوم له وجود بحسبه بما انبأ عن عدمه
وان قلت بكونه محققا فهو غير الوجود الواجب القديم كما هو مذهب المؤمنين فبطل
قولك بوحدة الوجود وان قلت هو وجود الحق الذي عين ذاته لزم جميع الفضائح

والقبائح

والقبائح ومما ذكرناه لم يبق في المهرب الا بناء الرفيق عن هذا المهلك المضيق ولا يمكن
خروج الصور عن حقيقة الوجود في منع صدقه على المقيد بها فان كل مطلق يصدق على
المقيد مع خروج عن حقيقته والحاصل ان الفضيحة كل الفضيحة في انكار وجود مخصوص
لكل شيء فانه لولا اعتبار وجودات خاصة للاشياء ولو هي ظهوراتها الفعلية
الظلية التي ليست نفس حيثياتها كما هو ليس محض لزم نفي التغاير والتمايز رأسا
بين جميع الموجودات حتى بين الاعراض والجواهر والعلل والمعلولات لامتناع التمايز
بالعدم او بالامر المشترك وان هو الا سفسطة محضة فثبت الفروق ببطلانها
فان قلت انك ستقول كما قال المحققون ان الابداع الاول على ما يقتضيه البرهان
هو الوجود الاطلاقي الانبساطي الذي به تشيئت وتأصلت الاشياء بوحدته
وكثرتها فما يلزم هذا القول من وحدة وجود الاشياء يلزمنا من غير فرق قلنا
مع ان بطلان كثير من تلك المفاسد الواردة انما هو على وحدة الوجود الواجب
دون الممكن نحن لا نقول وجود الاشياء عين هذا الوجود المطلق وان قام به
قيام تحقق كقيام الاشعة بالسراج لان التحقيق ان وجودات الاشياء ليست
الا ظهوراتها المتقومة بهذا الوجود الامكاني الاطلاقي بعد فناء الاشياء
كالضوء المستفيض فان الضوء واحد وهو الخارج من السراج المنبسط على اجزاء
البيت مثلا ولا يزول بزوال المستفيض الذي هو اثر الضوء فانه متكثر بتكثر المحل
وينعدم بانعدامه فالصور والماهيات مذكورات بالامكان في لوح هذا الوجود

ومتصلة ومرتبطة بها ومنتسبة اليه في الكون كنسبة الشعاع الى ذي الشعاع و
لا تحدود فيه بخلاف الوجود الواجب المنزه عن جميع الجهات والنسب اذ لا ربط بينه
وبين الحادث والا كان الحادث ازلا او الحادث قديما كما تقدم وكون الذات
منظورا في مقام الواحدية دون الاحدية بالصور والشئون الامكانية لا يرفع
المفاسد المترتبة على تقييد الذات بها في اي مقام كان ومما تقدم في تحقيق
تنزيل الصفات على المرتبة الواحدية دون الذات دفعا للزوم التكثر فيها
انما هو على حسب دراك العقول باعتبار اختلاف الانظار لا على ما هو حاق الواقع
واين هو من اختلاف الاطوار والصور الذي هو على حسب الواقع ونفس الامر
وتمثيلهم المقام بالواحد والعشرة بان لا حقيقة الا للواحد المتكرر والاحاد
كالزوجية ونحوها للعشرة يضعفه ان المقصود من المثال ان كان مفهومي
العشرة والواحد فهما متغايران حقيقة تغاير المركب لجزئه فان التكرر جزء
العشرة كالواحد وان كان مصداقهما الخارجي فظاهر ان حقيقة كل واحد غير
حقيقة واحد آخر ومباين له في الصدق فلا يتحد حقائق الاحاد العشرة
باجمعها لحقيقة واحد منها فلا ينطبق المثال على المقصود الا ان يراد بالعشرة
اعيان الاحاد الخارجية وبالواحد مفهومه وقد علمت فيما قدمناه ان المفاهيم
ليس لها تحقق وتكثر في الخارج فكيف كان هو المحقق والاعيان الخارجية اعتبارات
ثم انهم استشهدوا تاما لقولهم ببعض الآيات والاخبار المتشابهة تنزيلا

لها على

لها على ما يوافق مذهبهم من غير دلالة معتبرة عليه لغة او عرفا ومعارضتها النصوص
الصريحة واستظهروا اخرى بالكشف قال بعضهم انه مقتضى الكشف الكلي
والذوق التحقيقي الذي هو اكتحل به بصائرهم وعمي عنه غيرهم لعدم الفهم وقلة
الاستعداد فانه لا يفهم كلامهم الا امثالهم ولا يحمل عطايا بهم الا مطاياهم و
يقول شاعرهم: علم التصوف علم ليس يعرفه * الا اخو فطنة بالحق معروف
وليس يبصره من ليس يشهده * وكيف يبصر ضوء الشمس مكفوف * وامثال هذه
ولعمري ان مدعي الكشف ان كان صادقا فيه لوجدناه كشفا كاذبا لكان اهون
عليه من تكذيب اجماع جميع العلماء الاعيان ونصوص امناء الرحمن وصريح ا عباد
والوجدان وكيف يسوغ لنا العدول عن اهل بيت العصمة الذي هو المنهج القويم
والصراط المستقيم والباب الذي امرنا ان نأتي البيوت منه قال امير المؤمنين صلوات الله
لابن الكوا فيما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلم ان الله لو شاء لعرف عباده
نفسه ولكن جعلنا ابوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه فمن عدل عن ولايتنا
او فضل علينا غيرنا فانهم عن الصراط لناكبون اولا يتفكرون ان تلك لطريقتهم
لو كانت حقا لما بخل عن ارشادها ائمتنا الذين نصبهم الله لهداية عباده وكانت
في اخبارهم المروية في كتب اصحابنا على كثرتها واشتهارها وانتشارها مع شدة
اهتمامهم في الرواية ونشر الاحاديث المروية عنهم صلوات الله عليهم تصريحات بهم [illegible]
وتلويحات بذلك على لخواص شيعتهم كما في نظايرها من المعارف الغامضة و

والمطالب الحقيقية مع انه ليس منه في احاديثهم خبر ولا اثر ان هي الا اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله ولو خلا ان هذا
سر مخزون وجب عليهم كتمانه ولذا لم يظهروه فلم كشفتم عنه واظهرتم ها الخوض
وبالغتم في اشاعته واضاعته مشايخكم ورؤساؤكم في مقابل ائمتنا عليهم السلام حتى
ملأوا منه الدفاتر نظما ونثرا ونادوا به المحافل والمنابر علانية وجهرا الى ان
صار منهم هذا السر المكنون المختوم ملعبا لعموم العوام وسمر الافواه الجهال [illegible]
فيه تقليدا او توسلا الى مشتهيات نفوسهم الامارة اصحاب الهوى سيما من
اهل الظلم واشباه اعوان الديوان واصحاب الكبائر والطغيان وجعلوا هذا
السر المكنون الذي كف عن الاشعار به بزعمهم امناء الله وخلفائه شعارهم
بين الناس حتى صار روايه فرقة متميزة عن العلماء والصلحاء وسموا انفسهم
الصوفية واستدلوا عليه ثالثة بوجوه عقلية عديدة وهابين احدها ان
الوجود المطلق المجرد عن كل شيء بشرط لا شيء واجب يمتنع عليه العدم لمناقضته
اياه ولا يتأتى كثرة في الوجود لان غير الوجود عدم صرف اذ لا واسطة بين الوجود
والعدم فالوجود منحصر في الواجب الثابت والتعينات الامكانية شؤونه و
تنزلاته وليس عدم الممكن من تبدل وجوده بالعدم لاستحالة انقلاب الشيء
بنقيضه بل هو انفكاك الوجود عن تعينه وتحيثه وثانيها ما ذكره بعض محققي
المتاخرين وهو ان بسيط الحقيقة كل الاشياء وبوحدته كل الامور لا يغادر صغيرة

ولا كبيرة الا احصاها واحاط بها الا ما هو من باب الاعدام والنقايص فانك اذا فرضت بسيطا
وقلت ليس بـ ب فحيثية انه ج ان كان بعينها حيثية انه ب حتى تكون فانه بذاته
مصداق لهذا السلب فيكون الايجاب والسلب شيئا واحدا ولزم ان يكون من
عقل الانسان مثلا ليس بفرس ان يكون من عقل الانسان نفس عقله ليس بفرس
ولكن اللازم باطل فالملزوم كذلك فظهر وتحقق ان موضوع الحيثية مغاير لموضوع
انه ليس ب ولو بحسب الذهن فعلم ان موجود سلب عنه امر وجودي فهو ليس
بسيط الحقيقة بل ذاته مركبة من جهتين جهة بها هو كذا وجهة بها هو ليس كذا
ويدفع الاول بان الوجود المطلق اللا بشرط الذي تزعم انه واجب اما بقيد
الشرط او لا ان اخذت الاول يلزم على القول بالكيفية للذات وهي الصلاحية
للشرط فهذا وصف وجودي زائد على الحقيقة فلزم التكثر الممتنع عن الازل
مضافا الى لزوم الاقتران والارتباط بين الحادث والقديم عند تحقق الشرط
وان اخذت الثاني فهو خلاف قولك فسدد تعالى في التحقيق انه منزه عن
الاطلاق بانه قيد صلوحي لا ذكر له في الذات فلا اطلاق ولا تقييد ولا
ارتباط ولا اقتران ولا انفصال كل ذلك من خصايص الامكان وعوارض الحدثيات
وهو ليس كمثل شيء منها لا مطلقها ولا مقيدها فكيف صح لنا الحكم عليه باثبات
احد الطرفين وانى لنا ذلك وهو فوق مقام عقولنا وادراكنا والوجود المطلق
بالمعنى المذكور صنعه ومخلوقه واول ما ابدعه وشيئ به الاشياء نعم صح لنا

اطلاق الوجود عليه بالمعنى العام الذي نعقله ونظهر به عينا على حسب عقولنا
كما في اطلاق سائر صفاته الكمالية عليه فقوله لا واسطة بين الوجود والعدم
الامكانيان المضافان الى الصور والمهيات واسطتان وان اريد بهما الا صافيان
فالمجرد عنهما وهو الواجب والممتنع واسطة والثاني اولا بالنقض بقولك
بسيط الحقيقة كل الاشياء ان اريد بالاشياء بما هي هي على اختلاف ماهياتها
وحدودها فيلزمك القول بحيثيات غير محصورة في الذات لان كل ماهية
غير اخرى مضافا الى لزوم كون المتحد للشيء مغايرا له كما لا يخفى وهو محو وان
اريد بما هي موجودة فصح نفي ماهياتها عنه تعالى فجاء حكم الاثبات والنفي وكثرة
الحيثيات في البسيط من جميع الجهات وثانيا بالحل وهو ان الاثبات
والنفي محل المثبت والنافي وهو يستلزم تعدد الحيثية في مفهومي النقيضين
على حسب ما ذكر لان الذات بما هي هي في الواقع فاما ليست الا هي لا ذكر لشيء
معه كما في اثبات الصفات المختلفة له كما تقرر بيانه فلا يلزم منه تعدد
الحيثية في الذات نور في الاشارة الى بعض ما يتعلق بعلم الواجب تعالى مجده
وهو من غوامض العلوم واصعب ما ورد على اصحاب الكلام فاعلم ان العلم
معناه ادراك المعلوم باستشعاره فلا يكفي مجرد حضوره عند العالم ولذا
لا يصدق على غير ذوي الشعور وهو من الكيفيات والاحوال النفسية والافعال
القلبية ولا ينفك عن الاضافة الى المتعلق وقد يطلق ويراد به ما هو مبدا هذا

الادراك

الادراك ومنشاه كما يقال فلان عالم بالفقه اي له الملكة القريبة لاستحضار
مسائله والاقتدار على استنباطها من ماخذها فيراد بالعلم هو الباعث على الانكشاف
المعلوم نظير ما اصطلحوا عليه من العقل بالفعل المتوسط بين العقل بالملكة
والعقل المستفاد وهذا المعنى لا يعتبر في صدقه حضور المعلوم عند العالم
لا ذكره في نفسه بالفعل وهو من قبيل اطلاق السميع على من له قوة السمع
ان لم يكن هناك صوت مسموع واطلاق المضيء على الشمس وان لم يكن جسم
كيف يستضاء بها وقد يطلق بالشرع على الصورة الحاضرة في الذهن كما شاع
تفسيره بها وفي هذا اما وقع الخلاف المعروف عن ان العلم هل هو نفس
المعلوم وبعضه غيره كما عن المشائين وهذا المعنى قريب من الاول بل يتلازمان
فان ادراك الشيء لا يتحقق الا بحصول صورته الحسية او العقلية في ذهن العالم
وحيث حصلت فيه لزمها ادراك الذاهن ثم ان العلم اذا نسب اليه تعالى
قد يراد به المعنى المجرد عن اعتبار المعلوم فيه اي المعنى الثاني وقد يراد به المعنى
المقترن اما الاول فهو المقصود من العلم الذاتي الفعلي الذي هو عين ذاته
فلا يعرف حقيقته ولا يدرك ولا يكيف انما هو وزان الذات كما انه في الممكن
الهيئة الراسخة والملكة الباعثة على استحضار صورة المعلوم وحيث انه عين
الذات في الله تعالى فلا ذكر للمعلوم فيه فالذات سابق عليه وكل شيء هالك
عندها وهو ما اشار اليه مولانا الصادق عليه السلام لم يزل الله عز وجل والعلم ذاته

اذ لا معلوم الى قوله فلما احدث الاشياء وقع العلم منه على المعلوم الحادث وما تم
من العلم الثاني غير الذاتي للشيء واليه في الاول بل هو اثره ضرورة ان ذاته سبحانه
لا يقع من الذات على المعلوم ولا يتحول عن حال الى اخر فهو كما اشرنا اليه مثل الكلام
السمع عليك اذ لا صوت فاذا وجد وقع السمع الذي هو فعلك واثر قوتك
السامعة عليه ونحو ما في الشمس منه اذ لا مستنير فاذا وجد وقع الشمس عليه
اي نورها لا عينها وبالجملة رتبة الذات منزهة عن ذكر ما سواها حتى ان في
حديث عمران الصابي نفى مولانا الرضا ع علمه تع بنفسه لاستحالته ذكر
الغير قال عمران يا سيدي هل كان الكائن اي المبدأ الاول معلوما في نفسه عند نفسه
فاجاب ع انما يكون المعلمة بالشيء لنفي خلافه وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه
موجودا ولم يكن هناك شيء يخالفه فتدعوه الحاجة الى نفي ذلك الشيء عن نفسه
بتحديد ما علم منها افهمت يا عمران قال نعم والله يا سيدي انتهى ما اردنا وهو من
العلم المخزون الذي صدر عن مشكوة النبوة بيانه ان علم الشيء بنفسه يعني
ان يتحقق الا بوجود عينه حتى يكون بنفي ذلك الغير عن نفسه معلوما عند نفسه
والى هذا يشير ما يحكى عن بعض المحققين من انه يصح انا اذا كان هناك انت او هو
مع ان علم الشيء بنفسه يستلزم تعدد الجهة وتكثر الحيثية المستحيل في الواجب
القديم فعلمه بذاته ليس معناه الا ذاته من غير تغاير ولو اعتبارا واما الثاني
اي العلم المقترن المنتسب اليه عز وجل كقوله تع الا انه بكل شيء عليم ولا يعزب

عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فيمتنع كونه عين الذات فلزم
التكثر او معها في الازل فتعدد القدماء بل هو حضور صور الاشياء عنده
كل في رتبة نفسه والمراد بادراكه تع اياها ليس على معنى حدوث كيفية فيه
لم يكن له قبل حضورها فانتقل من حالة الى اخرى كما هو شأننا بل هو على
قياس اطلاق مفاهيم سائر الصفات عليه تع على الوجه الذي حققناه
وحاصله ظهور اثاره عنه في الحدوث كما هو قول اطلاق الغضب والرضا والحب
والكراهة ونحوها عليه سبحانه والاطلاق مبني على مقتضى درك عقولنا
بحسب كينونتها الا على ما عليه سبحانه في مقام ذاته المنزه عن الكيف الذي
لا يعرف ولا يتصور ثم ان كيفية حضور صور الاشياء العلمية عنده
قبل خلقها الذي هو شرط صدق العلم بها الذي لا يصح سلبه عنه تع مطلقا
على حد سائر الصفات الذاتية الكمالية من اصعب ما ورد على العلماء حتى ضلت
فيها عقول كثير من الحكماء الروس وعظماء الحكمة والناموس واختلف المذاهب
في كون علمه بها حصوليا صوريا اي بحصول صور الاشياء في ذاته سبحانه او في
او في شيء من مبدعاته او بقائها بذاتها او بطريق ثبوت المعدومات او الاحوال
المتوسطة بين الوجود والعدم او حضوريا والتحقيق فيه ان الصور العلمية
كما علمت ليست عين الذات ولا مع الذات ولا هي من المعدومات الثابتة
لانها محدودة بصور معينة وكل محدود موجود فان الوجود اول الحوادث

اقدمها ولا من الاحوال المتوسطة ضرورة بطلان الواسطة بين الوجود والعدم فلا بدّ ان يكون هذا العلم المقترن راجعا الى فعله سبحانه في الحدوث فكان متعلقا به من الصور الامكانية مجعولة له الا انها حاضرة عنده دائمة بمعنى ان لا اول لها غير حضورها في ذاته لاستحالة كونها محل الحوادث بل في ملكه على ما سننبه عليه ويشير الى جملة ذلك كلام مولانا الرضا عليه السلم في حديث عمران المشار اليه حيث سئله عمران بقوله فاخبرني باي شيء علم ما علم أبضمير ام بغير ذلك فقال ع اذا علم بضمير هل تجد بدا من ان تجعل لذلك الضمير حدا ينتهي اليه المعرفة قال عمران لا بد من ذلك قال فما ذلك الضمير فلم يحر جوابا الى ان قال يا عمران اليس ينبغي ان تعلم ان الواحد ليس يوصف بضمير وليس يقال له اكثر من فعل وعمل وصنع وليس يتوهم منه مذاهب وتجزئة كمذاهب المخلوقين وتجزئتهم فاعقل وابن عليه ما علمت صوابا انتهى وما افاده ع وعقبه بهذا البيان فيما يبتني عليه من الحق في المعرفة منتهى الحكمة وفيه اشارات الى اسرار مخزونة لمن كان من اهلها ويكشف المؤنة من انظار السابقين وافكار اللاحقين فانه ع ابطل العلم الصوري اولا في جواب السائل بان تلك الصورة لابد ان تكون محدودة ينتهي معرفتنا الى هذا الحد لانه صورة لشيء محدود بل لو لم تكن محدودة لم تكن صورة واذا كانت محدودة واحاطت بها المعرفة كانت موجودة فلا يكون من المعدومات ولا من الاحوال المتوسطة بل هي اما واجبة

فيلزم تعدد القدماء او ممكنة فيكون سبحانه محل الحوادث واذا بطلت تلك الآراء والاحتمالات اخذ في بيان ما هو الواقع بقوله اليس ينبغي ان تعلم ان الواحد ليس يوصف بضمير وليس يقال له اكثر من فعل وعمل وصنع فبين ان هذا العلم تعين ان يكون من فعله اذ لا ثالث للحق وفعله واشار الى ان هذا الفعل في تلك المسئلة العظيمة الذي يجب على كل مؤمن ان يؤمن به ونهاية كمال عنايته بالاعتقاد به قال مخاطبا للسائل فاعقل وابن عليه ما علمت صوابا وهذا الكلام الوجيز الذي هو ينبوع الحكمة يشير اولا بان علمه المتعلق بالاشياء ليس عين ذاته وثانيا بان نسبة هذا العلم المتعلق اليه تعالى ليست على معنى نسبته الى المخلوقين من كونه كيفية وحالة عارضة له فيكون وصفا له تعالى الله عن التكيف بخلقه بل هي على نسبة الفعل الى الفاعل بمعنى انه اثره في الحدوث يحكي عن الذات بوجه كونها مبدأ لهذا الاثر وهو كماله الذاتي الذي هو عين ذاته ولا يمكننا معرفته الا بهذا الطريق وثالثا بان فعله تعالى ليس على حد افعال المخلوقين المقرونة للتروي والتصور والتفكر والعزم والارادة فعله من حيث صدوره عنه كذاته مجهول الكنه لا كيف له كما لا كيف لذاته فلا تدركه الاوهام درك المعلومات ولا يحيط به المعرفة ولا ينبغي اكثر من ان يقال فعل وصنع وبالجملة هذا الحديث دل على ان علمه المقترن بالمعلوم ليس عين ذاته ولا هو صورة علمية في ذاته بل هو فعله ومما يدل عليه ايضا الحديث المتقدم



لم يزل الله ربنا عز وجل والعلم ذاته ولا معلوم الى ان قال فلما احدث الاشياء
وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم مما علمنا انه ليس المراد بالعلم الواقع
من الذات على المعلوم بعد حدوثه هو الذات بل هو اثره واصرح منه ما
قاله الصادق عليه السلم فيما سئل عنه فقلت لم يزل الله يعلم قال انى يكون
يعلم ولا معلوم قلت فلم يزل الله يسمع قال انى يكون ذلك ولا مسموع قال
قلت فلم يزل الله بصيرا قال انى يكون ذلك ولا مسموع قال قلت مبصر
ثم قال لم يزل عليما سميعا بصيرا ذات علامة بصيرة **تنبيه عرفاني** لعلك
تختلج ببالك ان الاضافة اذا كانت داخلة في حقيقة العلم الاضافي وهي
حادثة بحدوث المضاف اليه فيكون علمه بالاشياء ايضا كذلك ويكون
جاهلا قبله ويحول عن حال الى اخر تعالى الله عن ذلك ومع هذا ينافي الاخبار
المستفيضة المصرحة بازلية علمه بالاشياء كقوله ع لم يزل الله عالما بما يكون
فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه وقوله ع لم يزل الله عالما بالاشياء
قبل ان يخلق الاشياء كعلمه بالاشياء بعد ما خلق الاشياء وهو توهم باطل لانه
من البديهي ان المعلوم لا ينفك عن العلم المتعلق به والا ناقض نفسه فان
اردت بالحدوث المستوجب للحدوث المقابل للقدم فلا عجب بل توهم خلافه
من اعجب العجاب وهل هو الا دخل الحادث في القديم وذكر الحدوث في الازل
وينافي صريح الاخبار المتقدمة وغيرها وان اردت الحدوث المقابل للعدم

المسبوق اليه

اليه المسبوق به فهو غير وارد لان معلوماته سبحانه هي صور الامكان وهي مجعولة
قبل الازمان وامتداد الاوقات فلا يسبقها امتداد كانت فيه معدومة ولا بينها
وبين الله تعالى عدم حاصل متصل طرفاه بها الان هذا وصف وجودي لا يوصف به
اللاشيء المحض والليس المطلق كما نفصله في الباب الاتي فمعنى كونه حادثا انه لا
اول له سوى موجده وهو تعالى قبله لا بقبلية زائدة هي من صفات الامكان بل بذاته
الممتنعة عن كل شيء في رتبتها على كونها مبدءا وقيوما له ومن هذا يظهر ان المراد
بقوله ع لم يزل الله عالما بالاشياء قبل ان يخلق الاشياء وما في معناه في الاخبار
المتقدمة انه ما لا يسبقه العدم ولا اول له غير خالقه لا ما يرادف القدم وقد
يعبر عن ذلك بالاولية الثابتة كما في المروي عن مولانا امير المؤمنين ع انا الاولية
الثابتة وبهذا يجمع بينه وبين الاخبار النافية عن اضافة العلم بالمعلوم في
الازل وكفى شاهدا لهذا الجمع ما سمعت من كلام الصادق ع فيما سئل عنه فقلت
لم يزل الله يعلم قال انى يكون يعلم ولا معلوم الحديث لم يزل الله عليما فتفطن
مكاشفة معلوماته سبحانه قسمان **احدهما** الحقايق الامكانية وصور
القابليات التي سنعلم انها مجعولة دفعة ازلية غير زمانية بمشيته في الذكر
الاول قبل خلق اكوانها واعيانها وهذه لا يسبقها عدم ولا عدم لها سوى اول
موجدها وجاعلها **وثانيهما** المكونات التي خلقها الله تعالى مترتبة في التقدم
والتأخر في نسبة بعضها الى البعض وهذه كلها حاضرة عنده في الان ازلا وابدا

مع ما فيهما من اوقاتها المترتبة وامكنتها المختلفة وجهاتها المتشتتة لاحاطته
سبحانه بما لم يزل بما لا يزال ولا يشغله زمان عن زمان ولم يحجبه مكان عن
مكان لا يستدبر وقتا ولا يستقبل اخر بل هو محيط بكل الازمان احاطة
سرمدية اية ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة انهم يرونه بعيدا ونريه
قريبا وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر كما تقرر فيما مر فهو عز وجل
لم يزل مالكا للملك قائما عليه عالما بخلقه وان اختلفت حالات المكونات فيما
قبل كونها وبعده بالنسبة الى انفسها ومن هو مثلها وهذا معنى قوله عم كان
عالما بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها **الباب الرابع** في فعله تع
وكيفية توحيده وبعض ما يتعلق بذلك **نود** ان الله عز وجل ابدع ما ابدع
في الذكر الاول لا صورة له عنده ولا ذكر لشيء قبله لان قبل الابداع
هو ولا شيء سواه فلو كان عنده غيره كان لا بابداع فيتعدد القديم فالابداع
الاول تاسيس ما ليس بلا احتذاء مثال ولا سبق ضمير ولا من شيء ولا في
شيء فهو واحد بسيط غير متعين بصورة خاصة ولا محدود بحد مخصوص لاحد
له غير حد الامكان المبهم العام بمعنى انه بحيث يتقيد به كل موجود متعين اذ لو كان
له حد خاص وجهة مخصوصة فلا بد للخصوصية من مرجح نظرا الى امكانها و
استحالة وجود الممكن لا عن مرجح وليس هو الذات لتعاليها عن جهة نسبة مخصوصة
اليها ولا شيء اخر قبل الابداع حتى كان هو المرجح فهو الايس المطلق والوجود

الانبساطي الذي به تكثرت الجهات في الامكان والاكوان وهو بعينه مشية
الله وارادته واختراعه قال مولانا الرضا ع اسماؤها ثلثة ومعانيها واحد
وقال مولانا الكاظم ع الارادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك
من الفعل واما من الله فارادته احداثه لا غير ذلك واختلاف الاسماء باختلاف
الاعتبارات فيسمى فعلا من حيث كونه ظهور الحق لغيره وموصل فيضه الى ما يريد
وابداعا واختراعا على اختلاف يسير بينهما من حيث انه لا من شيء ولا من احتذاء
ومثال ومشية من حيث تشاءت به الاشياء وتاصلت وارادة من حيث كونه
مبدء الصور والاعيان والذكر الاول كما في الخبر المشية هي الذكر الاول من حيث
كونه اول ما ذكر في الخلق ومفعولا من حيث كونه صادرا عنه سبحانه وتنبيه على
اسماء اخر له من الاخبار وحيث انه غير محدود بحد خاص ينتهي اليه فلا يحيط
به الوهم ولا يعرف حقيقته مع انه اظهر الاشياء ومظهرها والى ذلك كله يشير
كلام مولانا الرضا ع في الحديث الاتي بقوله في صفة الصادر الاول منفي
عنه الاقطار مبعد عنه الحدود محجوب عن حس كل متوهم مستتر غير مستور **تنبيه**
كما لا سبيل الى معرفة حقيقة الصادر الاول كذا لا يعرف كيفية صدوره عنه
سبحانه ولا صدور مطلق افعاله اذ ليس فعله كفعل الخلق بسبقه ضمير وروية
وبعثه عزم ومثال بل لا كيف لفعله كما لا كيف لذاته كما قال الامام ع فكيف
يمكن معرفته ولا يمكن ان يقال اكثر من فعل وصنع وعمل كما قال الرضا ع فالكلام في

هذا الجال و توجهه بالتخيلات وهم وضلال اذا بلغ الامر الى الله فامسكوا
نور تلك الذات النزيهة لما كانت حقيقة نورية اذ لا نور اظهر من الوجود
ولا ظلمة اخفى من العدم والنور ظاهر في نفسه مظهر لغيره فلزم ان يكون
هو منشا ظهور الاشياء وبه اظهر الله الحقايق والاكوان ولذا ورد ان
الله خلق الاشياء بالمشية وخلق المشية بنفسها فحيث ابدعها الله ملئت
الامكان الذي لا يتناهى وظهرت به الصور على وجه الامكان من العقل الكلي
الى الهيولى وما تحت الثرى وما بينهما من الحقايق والهويات وما يلزمها ويلحقها
من الجهات والاقتضاءات والتركيبات والطورات دفعة لعدم توقف
ذكرها على شرايط واسباب وترتيب وتساوي الجميع في رتبة الامكان الذاتي
التي حصلت به فلا تقدم لبعضها في هذا الوجود الصلوحي والذكر الامكاني
على بعض وايضا تعلق هذا الوجود المتاصل بحد مخصوص في الكون الخارجي
لا بد له من مرجح وتميز من حيث هو الى جميع الحدود على السواء اذ لا مشاركة معها
في شيء ولا ذكر لمرجح يعطيها الوجود فلا بد من تكوين المشخصات من ذكر الحدود
ومرجحاتها قبل كونها حتى ينزل الامر بما يقتضيه وايضا حصول التكميل التكويني
وظهور الربوبية المقصود من صنع العالم يستدعي الترتيبات الخلقية والتطورات
الكونية والتغيرات الوجودية وهي يستدعي ذكر الاقتضاءات والروابط
المتممات قبل الخلق حتى خلق كل شيء في وقته ومكانه عند اجتماع شروطه

اسبابه وقيوده وايضا الايجاد لما كان فعلا متعديا الى القابل لزم في تعلق
التكوين وحصول الفعل والانفعال ذكر القوابل والمهيات فتبين من جميع ذلك
ان في صنع العالم لزم ذكر القوابل والجهات وجعل المهيات قبل ايجادها في
الكون وحيث ان نسبة الامكان الى الجميع نسبة واحدة كما عرفت فكلها مذكورة
باشراق نور المشية دفعة انية غير زمانية حسبما ستعرف ثم يتنزل الخلق في الاكوان
متدرجا على حسب ما ثبت في لوح تلك الذات المقدسة في الذكر الاول وهو ما
اشار اليه تع بقوله وما من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر
معلوم وتلك الحقايق هي صور معلوماته سبحانه التي هي قبل كونها كما في
الاخبار الناطقة بانه تع علم الاشياء قبل كونها كما اشرنا اليه وكفاك بهذا
دليلا على صدق ما ذكرناه من ذكر الاشياء قبل خلقها في لوح ذات المبدع الاول
وفي روايات كثيرة اخرى تلويحات واشارات اليه ايضا كما في حديث القدر
المروي في توحيد الصدوق عن مولانا امير المؤمنين ع قال ان القدر بحر زاخر
مواج خالص لله عز وجل لا يطلع عليه غيره عمقه ما بين السماء والارض وعرضه
ما بين المشرق والمغرب اسود كالليل الدامس كثير الحيات والحيتان يعلو مرة و
يسفل اخرى وفي قعره شمس تضيء لا ينبغي لاحد ان يطلع عليها الا الواحد الفرد
فمن يطلع عليها فقد ضاد الله في حكمه وسلطانه وكشف عن سره وباء بغضب
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فان الظاهر ان المراد بالشمس التي في قعره

هذا البحر المشية التي هي عبارة عن الوجود الاطلاقي الذي ظهرت به صور الممكنات
من غسق العدم وظلمة الليس المطلق وحسبانها القوابل الصافية النورية و[illegible]
ظلالها واضدادها القوابل الردية الظلمانية ولا يحيط بهذا البحر احد الا
الله لانه مقام الالوهية وظهور العلم المتعلق بالاشياء الذي لا نهاية له
فلا يشاركه غيره كيف والا لزم الفناء عنه تعالى في الامدادات وينافي قوله
رب زدني علما فان الاستزادة مع الحصول تحصيل الحاصل فهو العلم الغيب
المتفرد به سبحانه ومعلوماته هي المذكورات بالذكر الاول الذي هو المشية
كما قال الرضا عليه السلام ما المشية قال لا قال هي الذكر الاول ويعجبني ان اذكر
لنا بيننا ذكرناه ما نقل عن الحكيم الفاضل ثاليس الملطي وهو اول من تفلسف
من الملطيين قال ان المبدع ولا شيء مبدع فابدع ما ابدع ولا صورة له عنده
في الذات لان قبل الابداع انما هو فقط فليس يقال حينئذ جهة وجهة حتى يكون
هو ذو الصورة او حيث وحيث حتى يكون ذا صورة والوحدة الخالصة تنافي
هذين الوجهين والابداع تاسيس الشيء ما ليس بشيء فاذا كان مؤيس الايسات
فالتاييس لا من شيء متقدم فمؤيس الاشياء لا يحتاج الى ان يكون عنده صورة
الايس بالايسية لكنه عند العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات
كلها فانبعث منه كل صورة موجودة في العالم على المثال الذي في العنصر الاول
وهو محل الصور ومنبع الموجودات وما من وجود في العالم العقلي والعالم الحسي

الاولى ذات هذا العنصر صورة ومثال منه انتهى كلمة صادقية رواها ثقة
الاسلام في جامعة الكافي والصدوق في التوحيد مسندا عن مولانا الصادق ع
قال ان الله تعالى خلق اسما بالحروف غير متصوت وباللفظ غير منطق وبالشخص
غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ منفي عنه الاقطار مبعد
عنه الحدود محجوب عنه حس كل متوهم مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على اربعة
اجزاء معا ليس منها واحد قبل الاخر فاظهر منها ثلثة اسماء لفاقة الخلق اليها
وحجب واحدا منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الاسماء وفي رواية التوحيد
بهذه الاسماء بالباء التي ظهرت فالظاهر هو الله وسخر سبحانه لكل اسم من هذه
الاسماء اربعة اركان فذلك اثنا عشر ركنا ثم خلق لكل ركن منها ثلثين اسما
فعلا منسوبا اليها فهو الرحمن الرحيم ثم احصى عدة كثيرة من اسمائه الحسنى الحديث
فانظر ان هذا الحديث الشريف الذي لا يبلغ الى كنه اسراره غير خلص منهم
فيه اشارات الى ما قلناه فالمراد بالكلمة التامة التي ليس لها حد وعدد واقطار في
الجهات ولا يبلغ مدارك الافهام هو اول ما ابتدع اعني الوجود الاطلاقي
المجرد عن الحدود وكونها تامة لعله اشارة الى كونه في كماله بما هو عليه فعلا
محضا خاليا عن القوة والاستعداد او اشارة الى احاطته بجميع مراتب الامكان
وكليات تلك المراتب التي احاطت به اربعة ثلثة منها ما يفتقر اليه الخلق
في مبدا صعودهم ومنتهاهم في التكوين والتشريع بحيث لولاه بطل النظام

وهي العوالم الثلثة اعني المجردات الخالصة عن المواد والصور والماديات المقترنة
اليها والمثال البرزخ بينهما الفاقد للمادة دون الصورة والجزء الرابع المخزون
المخزون هو وجهه الى مصدره من حيث صدوره عنه المحجوب عن العقول كما ورد
على خلاف الاجزاء الثلثة فهذا وجهه الى الخلق وكونه مكنونا بهذه الاسماء
الثلثة لعله لما علمت فيما تقدم ان الخلق بنفسه وكينونته حجاب الحق فهو
محجوب ومستور بنفس الحقايق الامكانية وقوله ع فالظاهر هو الله اشارة الى
ان تلك الحقايق مظاهر الصفات ومقام ظهور الالوهية ورتبة
الواحدية كما اشرنا ونشير اليه وقوله ع وسخر لكل اسم من هذه الاسماء اربعة
اركان لعل المراد بها ما عليه مدار الصعود والعروج في مراتب الكمال وهي الخلق
والحيوة والرزق والعلم كما قالوا انه وكل بها اربعة املاك عزرائيل واسرافيل
وميكائيل وجبرائيل ووجهه ان حصول الكمال لكل شيء على حسبه يتوقف على
خلع صورته الناقصة وهو الاماتة وفعل الاول والانتقال الى صورة اكمل
وهو الاحياء وفعل الثاني واعطاء الغذاء المناسب لكل شيء والنماء على
قدر معين وميزان معلوم لحصول استعداد الدرجة اللاحقة وهو الرزق
وفعل الثالث والوحي والتعليم والارشاد لطريق العمل لتحصيل الاستعداد
المعد للكمال في التشريعات وهو فعل الرابع نور وحيث ان الله تعالى
كان لا في زمان ولا في مكان ولم يكن معه شيء فكان احداثه لهذا الصنع

البديع لا في زمان ولا استمرار الامر الى احد فما سوى الله لم يكن قبل كونه لم يكن
ولا لكونه قبل اصلا فكان تقديما بحت فوجود العالم انما هو بعد عدمه
الذاتي اي الذي له من ذاته لا هو من سبق عدم استمراري اذ لو كان عن
عدم فهذا العدم اما في زمان سابق تسلسل لا الى حد فيلزم تعدد القدماء
او تكثر البسيط في ذاته او لا في زمان بل كان العدم نفسه بعد الله سبحانه
وقبل وجود العالم متوسطا بينهما فاصلا لكل واحد منهما عن صاحبه فمع ما
يلزمه من محالات ظاهرة فهذا المتوسط اما ثابت في الخارج من غير فرض
يناقض نفسه اذ العدم ليس شيئا ان هو الا سلب الوجود وليس محض
او ليس ثابتا في نفسه بل منتزعا من شيء فالمتوسط هو الشيء المنتزع منه فان
كان ذات الله او العالم نفسه فكيف يتوسط الشيء بين نفسه وبين غيره
وان كان العدم نفسه فليس شيئا ينتزع منه ومتوسطا بين شيئين واقعا
فالذي ينتزعه اما غير الله فمن ذا غيره حين لا شيء غيره واما الله تع فكيف
ينتزع منه العدم وتترنم به وقولنا كان وحين وامثالهما في هذا المقام
بالنسبة الى وجوده تع انما هي مجازات تستعاد بها التفهيم المعنى لبث حقايق
يراد بها ظروف مقر ومثل الزمان في اشتقاقه قبل العالم محققا او موهوما
المكان فليس بينه تع وبين خلقه فراغا واسعا فاصلا بينهما يسمى بالازل
لانه ان كان عدما فلا شيء وان كان شيئا فيمتنع شركته للقديم فالازل ليس

الا ذاته فانه لا فصل ولا وصل ولا تناهي ولا عدم تناهي ولا اولية ولا قبلية
هناك بوجه اصلا فان كل ذلك صنعه تعالى وحادثة لا تجري عليه تبصرة
ومن هذا علم ان العالم واعني به ما سوى الله ليس قديما في الزمان ولا حادثا
فيه بل هو مبدع من غير زمان ومعنى حدوثه كونه مخلوقا محتاجا تعلق به
الاحداث والقديم في مقابله هو الغني الغير المخلوق وفي اخبار اهل
العصمة اشارات الى هذا المعنى بل ليس في شيء منها اكثر منه ومما دل على
ذلك حجة رسول الله صلى الله عليه وآله على الدهرية اذ قال لهم فهذا الذي
نشاهده من الاشياء بعضها الى بعض يفتقر لانه لا قوام للبعض الا بما يتصل
به كما ترى البناء محتاجا بعض اجزائه الى بعض والا لم يتسق ولم يستحكم
وكذا سائر ما ترى فاذا كان هذا المحتاج بعضه الى بعض لقوته وتمامه
هو القديم فاخبروني ان لو كان محدثا كيف كان وماذا كانت صفته
انها حجة بالغة صدرت عن مصدر معدن النبوة فمن قال بالحدوث الزماني
بالمعنى المتفاهم عند عرف العوام فقد اغتر بظاهر اللفظ من غير تصوير المعنى
والتدبر في حقيقته وما يلزمه من المفاسد العظيمة وهل لا يلزمه كونه
تعالى مع امتداد زماني او فيه تحيز ويذهب الى ما لا بداية له قبل ايجاد
العالم والتخلص عنه بجعله مقدارا موهوما ينتزع من استمرار وجود
الواجب او من استمرار امتناع عدمه المنتزع من استمرار وجوب وجوده

مجرد لفظ لا يغني شيئا كيف وهذا المقدار ان كان شيئا فعليه ما على كونه
محققا وان لم يكن شيئا محققا بل فرضيا فمن الفارض اهو الله سبحانه فيتم
فيه مقدار الزمان مع انه لا ذكر لشيء ثمة ولا هو محل الحوادث وان
كان غيره فمن كان حين لا شيء غيره وكيف يمكن فرض شيء احاط على الله سبحانه
وهو بكل شيء محيط نور قد شاع بين الحكماء ان الواحد لا يصدر عنه
الا الواحد وسماه بعضهم اصلا اصيلا وبنوا عليه كثيرا من مسائلهم
واثبتوا به البسائط والعقول العشرة والعلل الفاعلية واستدلوا
عليه بانه لا يصدر شيء عن شيء من حيث هما متغايران ومن جهة المناسبة
وهو ضروري مع انه لو لم يلزمه ان يصدر كل شيء عن كل شيء بل من حيث هما
متناسبان فالاحدية الذات لا يصدر عنه الكثرة والا لزم تكثر الجهات
في الذات وبعبارة اخرى لفاعل شيء لا بد في ذاته امرا مناسبا مخصصا
لصدوره عنه دون ما عداه فاذا فرضنا انه يصدر منه معلولا آخر و
هو ب فهو اما لعين تلك المناسبة الذاتية الاولى هو مح والا لزم ان
يكون ب هو آ بالضرورة او لغير تلك المناسبة فيلزم التركيب من المناسبتين
بالذات وقد فرضناه بسيطا محضا واحدا هذا خلف وانت خبير بان
هذا المحذور على التقريب المذكور يرد على كون المعلول واحدا ايضا
لان التناسب لا يتحقق الا بالاشتراك في جزء او صفة والا لزم كون

المغاير بما هو مغاير مناسبا له فلو كان صدور المعلول عنه سبحانه مبنيا عليه
كان نحو لزومه جهة بها باين ابنه تحقيقا للتمايز ولا تنتشر فلزم التكثر في
الذات المستحق للازل فتحقيق المقام ان ايراد تلك المحذورات وبناء
الاستدلال عليها مبني على قياس فعل الواجب على الممكن وهو خبط فاحش
ليس كمثله شيء وكيف يقاس فعل من لا كيف لفعله كما عرفت فلا يعرف حقيقة
صدوره عنه على ما هو معروف الصدور لنا بالرجوع الى انفسنا وهل يمكن
ان يوقع في الوجب الا ان فعل وصنع كما قال الرضا ع وهو يقول في كتابه
لا يشغله شان عن شان وفي الخبر لا يشغله خلق شيء عن خلق شيء وبالجملة
فحق القول ما عرفت ان لا مناسبة بين الله وبين ما سواه ولا مباينة ولا اتصال
ولا انفصال ولا اقتران ولا افتراق الى غير ذلك من الامور المتضادة كل
ذلك صفات المحدثين المحدودين واين هو من رب العزة جاعلها وخالقها
نعم لما كان من الضروريات حاجة الممكن في وجوده الى المرجح فالصادر
الاول يمتنع ان يكون له حد مخصوص لما بيناه من ان الخصوصية ممكنة تحتاج الى
المرجح والذات البسيطة منزهة عن اقتران جهة الترجيح ولا شيء اخر قبل
الابداع من جهة وحيثية وصورة توجبه فلزم ان يكون الابداع الاول
تاسيس الشيء ولكن ما ليس بشيء لا في شيء ولا من شيء ولا على حد خاص و
جهة مخصصة ولكن كان به تكثرت الجهات والحدود الى ما لا نهاية له

على نسبة واحدة اليها لا في الامكان كما ذكر مفصلا ومدللا ومعتضدا بظواهر
القران والاخبار فهذا الاصل المعروف بينهم ان نقول على المعنى الذي ذكرناه
فله وجه ولكن لا يتفرع عليه ما اثبتوا به من البسائط والعقول العشرة
والعلل الفاعلية وعدم صدور الافاعيل المتكثرة عنه تعالى بعد تكثر الجهات
والاقتضاءات في لوح المبدع الاول وهو ام الكتاب والذكر الحكيم واللوح
المحفوظ عن التبدل والتغير والا فباطل ما صنعوا والله على ما نقول شهيد
حيث يخبر عن فعل نفسه في كتابه المجيد يفعل ما يشاء ويفعل ما يريد
تنبيه واذ علمت ان الابداع الاول المعبر عنه بالمشية هو الوجود الانبساطي
الاطلاقي وانه محل الصور بما لا يتناهى حيث هو الامكان بالذكر الاول
ومنبع الموجودات بالذكر الثاني حيث خلق الله به الاعيان في الكون على حسب
شرائطها وعللها في اوقاتها وامكنتها على ما امكن في الذكر الاول فاعلم
في باب الصفات من الهائي ربه الحدوث فهو عند ابداع هذا النور حيث انه
مقام ظهور الصفات وكمالات الذات وتجليات الاسماء على حسب مراتب
المشاعر والافهام وهي رتبة الواحدية المنزلة على الاحدية اذ به بالصقع
ظهور الذات بموصوفية احد المعاني الكمالية وهو هذا النور الشارق من
صبح الازل فالمعاني محال ظهورات الصفات وايات الله في الافاق والانفس
وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر واركان توحيده لتقوم معرفته

بها وقد يطلق الاسمآء فى الاخبار على تلك المعانى والمسمى هو الذات وحيث
كان هذا النور هو علمه الذى احاط بكل شئ الى ما لا نهاية له من الصور
الامكانية وقوابل الامكان التى هى الصور العلمية والاعيان الثابتة الحاضرة
لديه والاعيان الكونية منها المتعاقبة المرتبة فى الوجود هى ملكه الحاضر عنده
قبل انشائه كما قال الامام ع بقوله لا كان خلوا من الملك قبل انشائه
ولا خلوا منه بعد ذهابه لما علمت ان جميع العالم واحوال فى اوقاته على تقدم
بعض على بعض حاضر لديه من ابتدآء وجوده الى فنآء حدوده حضورا ابدا
ازليا ابديا غير موقت عنده بوقت مترتب حيث لا يفقده شئ فى وقت حتى
فى اخر فيجعله بحال زايدة بل هو محيط الآن بالازل والابد والاشيآء موجودة
عنده فى ملكه وملكوته اذ لا عنده اولية واخرية وهو معنى قول النبى صجف
القلم بما هو كائن فالقبلية والبعدية راجعة الينا واما الله سبحانه فهو
محيط على الكل فى ازل الآزال انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا فلا تنافى
هذا الجفاف جريان القلم وطيته بنسبة بعضها الى بعض وتغير المقدرات
فان التبديل والمبدل منه من العالم ايضا احاط به فى الازل بشرايطه واسبابه
ولذا قال الصادق ع الدعآء من القدر وبالجملة وهذا المبدع الاول هو رحمته
التى وسعت كل شئ وقدرته التى غلبت كل شئ وقوته التى لا يقوم لها شئ
وعظمته التى ملات كل شئ وسلطانه الذى علا كل شئ الى اخر الاسمآء وهذه

الصفات كلها ينتهى الى تلك المشية وينقطع دونها والمشير الى نفسها كما ذكر
مكررا فانتهى المخلوق الى مثله والجاه الطلب الى شكله السبيل مسدود والطلب
مردود ودوام الملك فى الملك والقديم وحده لا شريك له لا نسبة ولا اقتران
فى صقع الذات ازلا وابدا تتميم تلك الذات الشريفة يطلق عليها
اسمآء اخر ايضا فى كلمات اهل العصمة فيعبر عنها تارة بالكلمة التامة والاسم
الاعظم باعتباره لا لسه على جميع المعانى الكمالية وشموله لمدلولات كل اسم
خاص واخص واشتقاقها منه والمسمى هو الذات المقصود بالتعبير عنه اشارة
ينطبق لفظ الله فى اطلاقها على الذات ويعبر عنها اخرى بوجه الله الباقى
بعد فنا كل شئ اذ به يعرفه من عرفه ويستحيل فنائه بل وفنآء ما ذكره من
الامكان فانه يمتنع انقطاعه ايضا لاستحالة تبدله بالنسيان وانحلاله بالزوال   يادة
والنقصان فهو ثابت الوجود دائم البقاء مامون عن العدم والفنآء بخلاف الوجود
الكونى فى الذكر الثانى فانه جائز البقآء لامكان فسخ قيوده وارتفاع حدوده
بانعدام اسبابه وعلله فعدمه فى الكون وعاد الى ذكره الاول ويعبر عنها
ايضا بالشجرة المباركة التى لا شرقية ولا غربية لتجردها عن الجهات والاقطار و
اول غصن صدق الوجود الكونى من تلك الشجرة العلم وهو العقل الكلى
ويسمى ايضا مآء لان الماء كل شئ حى وسحابا متراكما لنزوله الى الارض الميتة
وهى ارض القابليات وامرا الكونه حكم الله على الموجودات وكان امر الله مفعولا

والسر المقنع بالسر لان حقيقته غير مدركة كنا رها حيث لا حد له وبه جرت
الحدود والكيفيات ومنه سمي بالمثل الاعلى ايضا واهل المعرفة قد يعبرون
عنه بالحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ولعله يشير اليه ما في بعض الاخبار
ان اول ما خلق الله نوري وفي بعضها روحي وانه الاصل القديم والفرع
الكريم وفي اوصافهم المأثورة تلويحات اليه مثل انهم اشرف المخلوقات
حيث لا يلحق محلهم لاحق ولا يفوقهم فائق وانهم معادن الخير واصول الكرم
وبهم فتح الله وبهم ختم وان الله خلق العالم من انوارهم الى غير ذلك وهنا
مطالب دقيقة واشارات دقيقة لا يحتملها المقام نور ومما لا يعتريه
شبهة ان موجودات العالم من الجواهر والاعراض والعاليات والسافلات
والارواح والاشباح مختلفة بالذات في الشرف والخسة والزين والشين
ومعلوم انه ليس من محض وجودها لان وجود الاشياء هو تحققها وهو امر
واحد لا اختلاف فيه بحسب الحقيقة فالاختلاف راجع الى الماهيات وصور
الحقائق الامكانية وحيث انها مجعولة لله كما كونها كما تقدم فليس منشأ
الاختلاف امرا ثابتا قبل الجعل اذ ليس هناك شيء مذكور حتى يحكم عليه بخير
او شر ولا هو من سوء اختيار الجاعل وارادته تعالى الله عن القبيح بل هو لما
علمنا ان قبل الابداع لم يكن هناك جهة وصورة وشيء كان هو مرجحا لتعلق
مشية الله بحد مخصوص وان الوجود المنبسط العام الفايض منه سبحانه تعلق

بجميع الهويات والحقايق على وجه الامكان دفعة واحدة ايضا وعند هذا ح
الاختلاف المذكور بينها لما لها من اللوازم والاقتضاءات والتوليدات و
الاستنطاقات وظهور العلل والتمامات في الامكان وما في مراتبها من التقدم
والتاخر واقتضاء كل سابق للاحق فظهر بذلك قوابل الامكان على حسب اختلاف
درجاتها شرفا وخسة ولطفا وكثافة وسعادة وشقاوة ثم جرت سنة
الله بمقتضى حكمته وعدله في اعطاء كل ذي حق من تلك القوابل حقه من
الوجود الكوني والسوق الى كل مخلوق رزقه عند حصول شرائطه واسبابه
على ما جرى عليه الامكان في الذكر الاول ومثال ذلك الشعاع المنبسط عن سراج
على اجزاء البيت التي يختلف به مواضعه القريبة والبعيدة في الضياء والنور
فان نسبة السراج الى جميع الاضواء والاشعة المنبسطة على الاجزاء نسبة واحدة
وهي مؤثرية واحدة وافاضة شعاع واحد الا ان هذا الشعاع عند انبساطه
وتكثر مظاهره بالتقدم والتاخر ووقوع الترتيب اللازم للكثرة بينها صار
كل قريب اكثر نورا من البعيد وكل متقدم اشد ظهورا من المتاخر وكل ما بعد
يمتزج الظلمة الى منتهى البيت فهذا الاختلاف من باب ضرورة الامكان و
اقتضاء الوقوع في الرتبة المتاخرة ووقوع ظل كل شيء في مقابله ومن
هنا ورد كل سعيد سعيد في بطن امه وكل شقي شقي في بطن امه اي في ذر
مهيته وامكانه ولا حجة للشقي على مبدعه كما لا حجة للشعاع المتاخر على السراج

دفع اشكال به تختتم المقال ان سئل اذا كان الشرف والخسة امرا ذاتي فكيف
يجوز للشارع الحكيم التسوية في الطلب التكليف بالاوامر والنواهي والثواب
والعقاب بين افراد الانسان المختلفة في الفطرة والاستعداد وكيف يطالب
عن الجبلة الكدرة الخبيثة ما يطالب من الفطرة البهية النفيسة وهل
هو الا كطلب النور من البعيد عن السراج على حد ما يطلب من القريب منه فلا
تقدر البعيد على الوقوف على حد القريب ولا يتنزل القريب على حد البعيد
فالجواب ان ذوات المكلفين وان كانت مختلفة بحسب الفطرة الاولية
الا انها مع اشتراكها في صفة الاختيار الذي جعل الله فيهم واعانهم لاختيار
الخير بذكر المرغبات والزواجر والوعد والوعيد في انزال الكتب وارسال الرسل
مشتركة في كيفية ذاتية فطر الله الناس عليها وفي قبولها الكمال والشرف
المكتسب باستعمال القوانين الشرعية وامتثال التكاليف الدينية التي هي للنفوس
الردية من قبيل الترياق الدافع لمضرة السم وفي مقابله الهوان والخذلان و
السقوط عن البهاء الذاتي الى الظلمة المكتسبة بمخالفة تلك الشرايع وارتكاب
المعاصي من قبيل السموم الواردة على الامزجة الصحيحة فهذا كما اذا فرض في
مثال السراج ان يكون مواضع البيت زجاجية فللبعيد بتصفية المحل وصقله
جعل شعاعه اكثر ظهورا واستضاءة ونورا الى ان يتجاوز عن حد القريب و
كذا للقريب ان يجعل بالصدى جو نفسه حد البعيد لغلبة اثر التصفية في

کتابخانه مجلس شورای ملی

النور المكتسب بالنسبة الى القريب اكثر من البعيد وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء لا يعاتب ولا يلام به نور الله قلوبنا بانوار معرفته وتوحيده
وجعلنا من اهل فضله وتاييده بمحمد وعترته المسددين بتسديده
هذا اخر ما اردنا بيانه من مهمات حقايق التوحيد ودقايقه
واصوله ولواحقه والحمد لله اولا واخرا و
ظاهرا وباطنا وسرا وجهرا





